جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

البيئة الصعيدية وأثرها
في
تشكيل الشخصية
عند يحيي حقي في مجموعة (دماء وطين)

الدكتور
محمد عمر أبوضيف
أستاذ مساعد الأدب والنقد
كلية اللغة العربية بجرجا

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الرابع

مقدمة

الحمد لله الذي شرف الإنسان بنطق اللسان ، وفضل اللغة العربية على سائر اللغات بالبيان والتبيان وصلى الله على الكامل المبعوث من عدنان بأكمل الأديان إلى الإنس والجان ، وعلى آله وصحبه أولى الفضل والإفضال واليمن والإيمان...

وبعد ..؛

فإذا كان للقراءة العادية متعة واحدة، فللدراسة متعتان، متعة القراءة ومتابعة ما يجري من أحداث باهتمام وشغف، ومتعة البحث واكتشاف مقومات العمل الأدبي – محل الدراسة– وما فيه من ميزات ،وخصائص، ومقومات ،وإذا كان هذا العمل قصة ؛ فزد على ذلك متعة التعايش مع الأحداث، والتعرف علي الشخصيات وتصنيفها، ورصد غاياتها ودوافعها وعلاقاتها الإنسانية وتقييمها والحكم عليها... وحتى نصل لهذا المستوي من المطالعة لابد أن تكون القراءة متأنية واعية مبصرة ناقدة ؛ لأن العمل الأدبي سيما القصة لا تفتح مغاليق أبوابها للقارئ المتسرع السطحي الذي يقرأ بسرعة الصاروخ ، فهو يقلب الصفحات باستعجال، ويقفز على الكلمات ليصل إلى خاتمتها، بل تكشف كنوزها وتعطي ثمراتها للقارئ المتمعن، الذي يحاول مضغ ما يقرأ جيدا والتلذذ به حتى يصبح قابلا للبلع وسهل الهضم، يقرأها بلسانه وقلبه وعقله وخياله، وتنمو شخوصها أمامه وتتحرك وتتطور، ويدخل معها إلى عالمها، فيشاركها الأفراح، ويقاسمها الأحزان، ويتحمس لفوزها ونجاحها، ويسر لنجاتها، ويرثي لإخفاقها، وتتوتر أعصابه عند صدامها فيتعاطف مع أخيارها، ويكور

قبضته غضبا وسخطا في وجه أشرارها، ومن قرأ العمل الأدبي أو القصة بلسانه وحده، أو بلسانه وعقله فقد قتلها.

وقد فعلت هذا مع مجموعة دماء وطين ليحي حقي وعجبت لرؤيته للصعيد وتحامله عليه حتى صار إجرام الأبطال في قصصه يعزوه لهذه البيئة ومع هذا عشت بموضوعية مع هذه المجموعة لكتابة هذا البحث:البيئة الصعيدية وأثرها في تكوين الشخصية عند يحيي حقي في مجموعة (دماء وطين) وقد جاء هذا البحث في:

مدخل.

الفصل الأول: يحيي حقي سيرة وأسلوب.

وفيه: يحي حقي المولد والنشأة،و بيئة النشأة الأدبية ساعدت في تكوينه ،وبيئة المدرسة الأدبية الحديثة، و بيئة عمله في الصعيد وأثرها،و بيئة المسكن وأثرها، وكتاباته،و أسلوبه ، ومن مميزات يحيي حقي .

الفصل الثاني: مجموعة دماء وطين.

وفيه: المجموعة نظرة تحليلية ، والمجموعة وعناصرها فنيا.

الفصل الثالث : الشخصية كما أظهرها يحيي وأثر البيئة فيها:-

وفيه : مفهوم الشخصية ،و مفهوم البيئة وأثرها، و رسم يحيي حقي للبيئة الصعيدية،والبيئة المادية (المكانية والاجتماعية)،والبيئة المعنوية النفسية.

وأخيرا قائمة المصادر والمراجع .

مدخل

القصة ببساطة هي " أشيع ما يعرفه عصرنا هــذا مــن صــور الأدب ، لا يدنو منها فى شيوعها بين الناس صورة أخرى ، فتكاد لا تجد من لا يقرأ القصص ، ولكل قارئ ما يؤثره مما قرأ . ولما كانت القصة بطبيعتها مجالا خصبا لبذر الآراء والمــذاهب رأيــت كتابهــا يبثون فى قصصهم ما يريدون من مبادئ الاقتصاد والاجتماع والدين. وقد يحب الكاتب أن يتخذ من قصته أداه التحليل النفسي الذي ربمــا ذهب فيه إلى أبعد الآماد عمقا واتساعا ؛ فلا عجب إن رأينا الكثــرة الغالبة من القراء لا تقوم القصة إلا بما تحمل لها مــن تلــك الآراء والمذاهب فلا تزنها بمقياس الفن الخالص و لا تقدرها على أســاس القواعد الفنية بغض النظر عما تحمله فى طيها من مذهب أو رأى أو تحليل[١].

وتعد القصّة القصيرة واحدة من أقدم الأشكال الأدبية. فقد كُتبت قديمًا منذ نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م على هيئة قصص خيالية قصيرة في مِصر. وتُعد قصص (ألف ليلة وليلة) أمثلة أخرى على شكل القصــة القصيرة.

وقد ظهرت القصة القصيرة في منتصف القرن التاسع عشر في روسيا و أمريكا ، ثم بعد ذلك في فرنسا و إنجلترا و غيرهما..[٢].

وازدهرت في بدايات القرن العشرين ، فتعددت اتجاهاتها وكثــر كتابها ، واحتفلت بها الدراسات النقدية .... لأنها أقرب الفنون الأدبية

---

(١) فنون الأدب ، تــأليف هــــ.ب.تشارلتن ، ص: ١٠٠، تعريــب أ.د.زكى نجيب محمود ، تقديم د. إمام عبد الفتاح إمام،ط. الهيئــة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م

(٢) ينظر: القصة القصيرة دراسة ومختارات، د.الطاهر؟أحمد مكــي، ص:٧٠ ،ط. دار المعارف (الطبعة السادسة) ١٩٩٢م.

إلى روح العصر ؛ لأنها انتقلت بمهمة القصة الطويلة (الرواية) من التعميم إلى التخصيص ، فلم تعد تتناول حياة جماعة بأكملها، أو شخصية كاملة ، وإنما مسايرة لروح العصر عصر العلم والسرعة ، فاكتفت بتصوير جانب واحد من جوانب حياة الفرد أو موقف واحد، أو فكرة واحدة تصويراً مكثفاً.

وقد عرفت مصر فن القصة القصيرة مع مطلع القرن العشرين قبل أن تعرفه البلاد العربية الأخرى ، ذلك لأنها مركز الإشعاع الفكري والثقافي والأدبي للعالم العربي... و" من حسن الحظ أن القصة الأولي في أدبنا قد ولدت علي هيئة ناضجة جميلة فأثبتت لنفسها، أولا: حقها في الوجود والبقاء، واستحقت ثانيا: شرف مكانة الأم في المدد منها والانتساب إليها وإلا أين كنا نداري وجوهنا لو التف القماط علي خلفية دميمة مشوهة تجد عذر غثاثتها أنها من إنتاج قلم "غشيم في الكار"[(١)].

وخلال النصف الأول من القرن العشرين، صدرت عشرات المجموعات القصصية، وجذبت القصة القصيرة إليها كتَّابًا كثيرين، لكنها تتنقل بين الرومانسية، والواقعية التصويرية، معتمدة على أسلوب السرد التقليدي، لكنها حققت بعد الخمسينيات ــ على يد كُتّاب مثل يوسف إدريس ويحيى حقي وزكريا تامر ومحمد زفزاف ــ تطوّرًا ملموسًا في تقنيات السرد والحوار والحبكة والبداية، واستطاعت القصة أن تنفذ إلى الواقع وتعبر عنه بتركيز شديد ولغة قوية لفتت إليها الرأي العام، فأقبل عليها ووجد فيها ضالته التي لم يجدها أحياناً في الشعر بوصفه ديوان العرب والجنس الأدبي المتربع على عرش الثقافة والفنون. استخدم الكُتَّاب ــ خاصة جيل

---

(١) فجر القصة المصرية ، يحيي حقي، ص:٣٨، كتاب الثقافة الجديدة (٢٨) الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الستينيات ــ أساليب فنية متقدمة في السرد القصصي كتيار الشعور واسترجاع الأحداث (الفلاش بـــاك) والمونولـــوج ومختلـــف الأدوات الفنية بما أتاح للقصة القصيرة التجدد الدائم والقدرة على اســـتيعاب شتى ألوان التشكيل الفني.

وقد "...هيمن القص علي التعليم الأدبي منذ الستينيات .ولا تزال الناس تدرس الشعر بالطبع ، فهو مطلوب في أحـــوال كثيـــرة،ولكن الروايات والقصص القصيرة احتلت المركز من المنهاج الدراسي و لا يرجع ذلك إلى تغير أولويات الاهتمام أو تفضيل الجمهـــور القـــارئ الذي يبهجه اقتناء القصص ، ونادرا ما يقرأ القصائد ، بـــل يرجـــع بالمثل إلى تصاعد ما طالبت به النظرية الأدبية والثقافي من أن يحتل القص المكانة المركزية فى مجالات الدرس . والحجة على ذلـــك أن القص هو سبيلنا الأساسي فى تعقل الأشياء ، ســـواء فـــى تفكيرنـــا بحياتنا من حيث هي تقدم متتابع يفضى إلى مكان ما ، أو فى معرفتنا بما يحدث فى العالم[١].

---

(١) زمن الرواية ، د جابر عصفور،ص : ٨٥ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب مهرجان القراءة العامة للجميع ١٩٩٩

الفصل الأول
يحيي حقي سيرة وأسلوب

يحي حقي المولد والنشأة:-

ولد الكاتب الكبير يحيى محمد إبراهيم حقي في ٧ يناير ١٩٠٥، بحارة الميضه بالسيدة زينب ، وكان تعلمه الأولي في كتاب "السيدة زينب" ، وفي مدرسة أم عباس الأول خديوي مصر . حصل على الثانوية من مدرسة الخديوي الثانوية عام ١٩٢١ ؛ ثم تخرج في مدرسة الحقوق المصرية – كلية الحقوق – عام ١٩٢٥ ، وبعد ذلك عمل معاون نيابة في منفلوط ، وانتقل إلى السلك الدبلوماسي ؛ حتى أنشئت مصلحة الفنون ، وعين لها مديراً عاماً ؛ وبعد ما ألغيت أصبح رئيساً لتحرير مجلة "المجلة" ؛ حتى عام ١٩٧٠ .

تكريم :نال يحيي حقي أكثر من جائزة في حياته الأدبية، من بينها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٩، كما منحته الحكومة الفرنسية وسام فارس من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣، كما نال العديد من الجوائز في أوروبا وفي البلدان العربية، منحته جامعة المنيا عام ١٩٨٣ الدكتوراه الفخرية؛ وجائزة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في دورته السادسة عشرة؛ جائزة الملك فيصل العالمية ــ فرع الأدب العربي ــ لكونه رائداً من رواد القصة العربية الحديثة، عام ١٩٩٠.

توفي يحيى حقي رائد وأديب القصة القصيرة في ٩ ديسمبر ١٩٩٢م عن عمر يناهز سبعاً وثمانين عاماً.

ولقد عملت مؤثرات ... فى تكوينه الأدبي ، حددت اتجاهه من ناحية نحو اتخاذ الصورة شكلا قصصيا مرغوبا فيه ، ومن ناحية أخرى فى الاهتمام باللفظ والأسلوب المحدد ، ومن ناحية ثالثة فى

التزام الواقع ، وضرورة وصفه كما هو فى حقيقته .وتقف البيئة التي نشأ فيها في مقدمة هذه العوامل[١]...

بيئة النشأة الأدبية ساعدت في تكوينه :-

الأديب ابن بيئته ، وهو صورة لعصره ،لذا تري أثر البيئة كبيرا علي الأدباء ، وبالنسبة لأديبنا فقد شب يحيى حقي في جو مشبع بالأدب والثقافة، فقد كان كل أفراد أسرته يهتمون بالأدب مولعين بالقراءة، فخاله (حمزة بك) كان يشغل وظيفة رئيس القلم العربي في ديوان الخديو إسماعيل، وله نماذج من الإنشاء حواها كتاب (جواهر الأدب)، وعمه هو (محمود طاهر حقي) الذي امتلك في شبابه مجلة (الجريدة الأسبوعية)، وكان أحد رواد فن الرواية، وقد كتب عدة روايات منها: (عذراء دنشواي)، و(غادة جمانا).أما والده (محمد حقي) فقد كان موظفًا بوزارة الأوقاف، وكان محبًا للقراءة والثقافة، وكان مشتركًا في عدد كبير من المجلات الأدبية والعلمية والثقافية، وكانت أمة كذلك حريصة على قراءة القرآن الكريم ومطالعة الكتب الدينية. في هذا الجو الديني الذي يظله الحب ويشع فيه التفاهم وترفرف فيه السعادة نشأ (يحيى حقي) لتتشبع روحه ووجدانه بالقيم الدينية الأصيلة، وتتشرب بالأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية النبيلة والمثل العليا. وكان (يحيى حقي) ثالث سبعة إخوة: خمسة ذكور، وبنتان، وكان إخوته الذكور يحملون جميعًا أسماء أنبياء؛ فأكبرهم (إبراهيم) الذي بدأ حياته بالكتابة الأدبية في مجلة (السفور)، وثاني إخوته (إسماعيل) الذي عمل بالتدريس في بعض المعاهد المصرية وجامعة الملك سعود، وترجم كتبًا في الفلك والفضاء، ثم(زكريا) الذي عمل طبيبًا، و(موسى) الذي تخرج في كلية التجارة ثم حصل على

---

(١) تطور فن القصة القصيرة فى مصر من سنة ١٩٣٣:١٩١٠، سيد حامد النساج ، ص٢٨١،٢٨٠ .

ماجستير في السينما، أما الأختان فهما (فاطمة)، و(مريم). في هذا الجو نشأ (يحيى حقي) متأثرًا بالأدب القديم والحديث، فقرأ لعدد كبير من أدباء العرب القدامى كالجاحظ وأبي العلاء، كما تأثر بعدد من الكتاب الغربيين مثل (فرجينيا وولف)، و(أناتول فرانس) (١).

ولا يقف تأثير أسرته عند هذا الحد من التوجيه ، بل إن دورها ينحصر أساسا فى أنها عمقت وعيه بخطورة اللفظ وضرورة العناية به ، ووجوب وضعه فى المكان اللائق فى الوقت المناسب ، فقد كان الجو الغالب على بيته :" ...شئ من الإعجاب برشاقة اللفظ والابتهاج بالتوفيق فى العثور عليه(٢) ... " .

بيئة المدرسة الأدبية الحديثة :ـ

ويأتي اتصاله بالمدرسة الحديثة فى المرتبة الثانية من مراتب التأثير فى فنه القصصي ، فقد وجهته هذه المدرسة بتعاليمها ودعواتها ،وجهة واقعية جعلته يستريب من دور الخيال فى القصة . ويعتبر القصة التى تعتمد على الخيال نوعا من التسلية وقتل الفراغ .فإن انتقاله إلى الصعيد وغيره من القرى المصرية ، جعله يتصل بالناس والطبيعة والحيوان والفلاح المصري اتصالا ايجابيا ، ساعد على أن تنطبع فى ذهنه صور المرئيات على طبيعتها وفى حقيقتها من غير رتوش ، أو ألوان زاهية براقة ... فنقل على الورق هذه

---

(١) ينظر: رسائل يحيى حقي إلى ابنته: نهى حقي ، إبراهيم عبدالعزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، كناسة الدكان: كتاب الهلال، يحيى حقي، دار الهلال – القاهرة.

(٢) ذكر ذلك :سيد حامد النساج فقال: من حديث لي معه – يوم الاثنين ٦٤/٩/٧ . وقد نشر "فؤاد دوارة " حديثا مشابها فى الجمهورية العدد ٣٩٥١– ١٥أكتوبر ١٩٦٤ . وتتفق إجابات يحيى حقي فى كلا النصين أفكارا وألفاظا .

الصور فى شكل قصة قصيرة ، وحرص على أن يكون أمينا فى نقله عن الواقع ..مثال ذلك (قهوة ديمتري) التي يقول عنها إنها قهوة حقيقية موجود فى مدينة المحمودية[١].

بيئة عمله في الصعيد وأثرها:

عمل يحيى حقي معاونًا للنيابة في الصعيد لمدة عامين من ١٣٤٦هـ=١٩٢٧م إلى ١٣٤٧هـ=١٩٢٨م ، وكانت تلك الفترة على قصرها أهم سنتين في حياته على الإطلاق، وهو يفسر ذلك بقوله: "أتيح لي أن أعرف بلادي وأهلها، وأخالط الفلاحين عن قرب، وأهمية هاتين السنتين ترجع إلى اتصالي المباشر بالطبيعة المصرية والحيوان والنبات، والاتصال المباشر بالفلاحين والتعرف على طباعهم وعاداتهم ."وقد انعكس ذلك على أدبه، فكانت كتاباته تتسم بالواقعية الشديدة وتعبر عن قضايا ومشكلات مجتمع الريف في الصعيد بصدق ووضوح، وظهر ذلك في عدد من أعماله القصصية في المجموعة التي ندرسها مثل: (البوسطجي)، و(قصة في سجن)، و(أبو فودة).

وفي عام ١٩٥٥، اختير مديرًا لمصلحة الفنون (النواة الأولى لوزارة الثقافة فيما بعد)، فكان له دور مؤسس في النهضة الثقافية التي عرفتها مصر في تلك السنوات وما بعدها.

وفي عام ١٩٦٢، تولى يحيى حقي رئاسة تحرير مجلة (المجلة) الشهرية لثماني سنوات، نجح خلالها في تحويل تلك الدورية إلى منبر ثقافي مؤثر، قدم من خلاله الكثير من المواهب الجديدة في ميادين القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد.

---

(١) تطور فن القصة القصيرة فى مصر من سنة ١٩٣٣:١٩١٠ ، سيد حامد النساج ، ص: ٣٨٣ .

وأثر هذا في ثقافته حيث جعلته قارئا كبيرا يكتب في مجـــالات متعددة كالمقال الأدبي، والنقد الأدبي والفني، والدراســـات الأدبيـــة، والسيرة الذاتية.

وله ثمانية وعشرون كتابًا، غير القصص والمسرحيات والكتب التي ترجمها. وعمله كمدير مصلحة الفنون ورئـــيس تحريـــر هـــذه الإدارة عودته النظام حيث ظهر ذلك في أعماله حيث الفكر المنـــتظم والأداء الدقيق.

بيئة المسكن وأثرها:

كانت إقامة يحيي حقي في الأحياء الشعبية من الأسباب التـــي جعلته يقترب من الحياة الشعبية البسيطة ويصورها ببراعة وإتقـــان، ويتفهم الروح المصرية ويصفها وصفًا دقيقًا وصادقًا في أعماله، وقد ظهر ذلك بوضوح في قصة (قنديل أم هاشم)، و(أم العواجز).

بيئة الصداقة وأثرها:

الصداقة لها أثر كبير في الإنسان- ناهيك عن الأديـــب- ولهـــا بصمتها في كل شئ حتى قيل:

يُقـــاسُ المـــرءُ بـــالمرء ∴ إذا مـــا المـــرء ماشـــاهُ[١]

لذا فهناك صداقات ليحيي حقي أثرت فيه وظهر ذلك في أدبه[٢] واكتفي هنا بأهم صداقة ظهر أثرها عليه في أدبه بـــل فـــي حياتـــه العملية وهي صداقته بالعلامة محمود محمد شاكر فقد كان رحمه الله

---

(١) ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ينظر: ديوانه، دار كرم بدمشق ص ٩٥

(٢) من هؤلاء الأصدقاء :عثمان عسل،ومحمد عصمت،وفؤاد دوارة، ومصطفى ماهر،وعطية أبو النجا،ونعيم عطية،وسامي فريد،وسمير وهبي،وأحمد تيمور وغيرهم .

من أكثر أصدقائه قربًا منه فقد عرفه منذ عام ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م واستمرت صداقتهما لأكثر من (٥٣) عامًا.

قد كان لشاكر أكبر الأثر في الارتقاء بلغة يحيى حقي، وتحويله من رجل تتعثر يده لم يتعمق علمه بالعربية إلى ذلك الأديب المبدع الذي تشي كتاباته بأسرار العربية في تمكن واقتدار، ويكشف يحيى حقي بحب وتواضع عن جوانب خفية في علاقته بصديقه "شاكر" فيقول:"من سنة ١٩٣٩ إلى الآن هذه الصداقة متصلة، بل له علي فضل كبير، فهو الذي يدفع لي فاتورة التليفون، وهو الذي يدفع عني كثيرًا من الديون، وإذا تعثرت في الفلوس يعطيني لوجه الله"، ويقول عن تأثيره فيه وتأثره به:"أثناء عملي بديوان وزارة الخارجية توثقت صلتي بالمحقق البحاثة الأستاذ محمود شاكر، وقرأت معه عددًا من أمهات كتب الأدب العربي القديم ودواوين شعره. ومنذ ذلك الحين وأنا شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها، وفي اعتقادي أنها لغة عبقرية في قدرتها على الاختصار الشديد مع الإيحاء القوي".

وقد أشاد "شاكر" بموهبة حقي الأدبية وبراعته وحسه الأدبي المرهف "وتنبهه إلى جمال العبارة العربية، واكتشافه المبكر لأسرار بلاغة العرب، وقدرته الفائقة على اختزان كل ما يعرف وتمثله فيما يكتب بأسلوبه وعباراته بغير محاكاة أو تقليد، وإنما باقتدار وفن و براعة جعلته لا يقع فيما يقع فيه غيره من النقاد والأدباء، وهو ما أكسبه شخصية متميزة ومستقلة قائمة بذاتها[١].

---

(١) وصية صاحب القنديل: صلاح معاطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة:١٤١٥هـ=١٩٩٥م .

وبالرغم من قلة الأعمال القصصية ليحيى حقي فإنه يعد بحق هو الرائد الأول لفن القصة القصيرة، كما أثرى فن اللوحة الأدبية في مقالاته الأدبية العديدة التي لا تقل فنًا وبراعة عن القصة.

كتاباته:

وعن كتاباته فقد عالج معظم فنون الإبداع والقول من موسيقي وقصة قصيرة ورواية ونقد ودراسة أدبية وسيرة أدبية ومقال أدبي، كما ترجم عددا من القصص والمسرحيات.. لكن وبالرغم من قلة الأعمال القصصية ليحيى حقي فإنه يعد بحق هو الرائد الأول لفن القصة القصيرة، وتظل القصة القصيرة هي حبه الأول لأنها تقوم، كما يقول، على تجارب ذاتية أو مشاهدة مباشرة، كما أن عنصر الخيال فيها قليل جدا.

كما أنه أثرى فن اللوحة الأدبية في مقالاته الأدبية العديدة التي لا تقل فنًا وبراعة عن القصة.

وكان اهتمامه بالموسيقى الكلاسيكية السيمفونية وبالفنون الشعبية كبيرا، فقد دفعه ذلك إلى إبداع أوبرا (نهر العروسة) ليعبر بها عن مصرية خالصة كان ينشدها لتمصير فن الأوبرا.

فمن قصصه ورواياته: قنديل أم هاشم، وصح النوم، دماء وطين، وأم العواجز، وخليها على الله، وعنتر وجولييت، وسارق الكحل، والفراش الصغير،البوسطجي.

ومن دراساته ومقالاته:فجر القصة المصرية،وخطوات في النقد، وفكرة فابتسامة، ودمعة فابتسامة،تعال معي إلى الكونسير،وحقيبة في يد مسافر، وعطر الأحباب،وناس في الظل، وأنشودة البساطة،ويا ليل يا عين،وهموم ثقافية،ومدرسة المسرح،وتراب الميري، وكناسة الدكان،وهذا الشعر،وصفحات من تاريخ مصر.

أما ترجماته فعديدة منها: الدكتور كنوك أو انتصار الطب،لجول رومان ،وتوني كروجر لتوماس مان ، والطائر الأزرق لمترلنك.

أسلوبه :

يختلف الأسلوب "..تبعا لاختلاف المنشئين سواء أكانوا كتابا أم خطباء أم شعراء أم مؤلفين إلي غير هذا ،فالموضوع هنا واحد- خطابة أو كتابة أو شعر- ولكن الأشخاص يتعددون،فإذا بالأسلوب يختلف في الفن الواحد باختلاف هؤلاء الأدباء،إذ نري لكل منهم طابعا خاصا –في تفكيره،وتعبيره،وتصويره- ممتازا به من الآخر في هذه العناصر .وقد يصح لنا بعد ذلك أن نقول مع القائلين:"الأسلوب هو الأديب"أو هو الرجل إلي نحو ذلك من العبارات[١]".

ف" الحقيقة هي أن الأسلوب هو الفكرة ، فإن الحقيقة كذلك هي أن الأسلوب هو الرجل . إذ لا يوجد شخصان ينظران إلى الأشياء نظرة واحدة وتفكيرهما واحد . وإن كل كاتب فى الوجود يضفى شيئا من شخصيته ولون روحه ومشاعره على ما يكتب . ومن ثم فإن قوة إقناع الكاتب وآرائه ، ونبل تصوراته تنبعث مرة أخرى فى صورة من التعبير طبيعية، ولا يمكن أن يتخذها إلا ذلك الكاتب بالذات . وهذه الطريقة المعينة فى تنفيذ الفكرة وإخراجها من حيز الآراء إلى شكل محسوس فى اللفظ تمر فى عملية ذاتية تولد الألفاظ الذاتية التي يستغلها الكاتب ويصبها فى قالب الجملة[٢].

---

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ،أحمد الشايب،ص:١٢١ ،ط.مكتبة النهضة المصرية (الرابعة)٠

(٢) الأسلوب ، د. محمد كامل أحمد،ص:٦٧ ، نشر: مكتبة القاهرة الحديث (الثانية) ١٩٦٧م٠

لذا نفرر بكل راحة بال أن هناك فارقا بين يحيى حقي وبين غيره من الأدباء وكتاب القصة!. هذا الفارق يتلخص في أن يحيى حقي كان إنسانا. والآخرين كانوا أفرادا.

وهذه الإنسانية الواضحة تبدو جلية في كتاباته، وطريقة تناوله، وأسلوبه، هذا الأسلوب الذي شهد له النقاد حيث يقول عنه أحدهم وهو سيد قطب :" إنه أسلوب فذ مبتكر"(١).

هذه الإنسانية رفعت يحيي حقي من المحلية إلي العالمية تقول الكاتبة الأميركية مريام كوك:" إن يحيى حقي كان علما من أعلام الثقافة والإبداع في مصر والعالم العربي والغربي، وقد تجاوز بإبداعاته حدود اللغة وعوائقها إلى العالمية بسبب القيم الإنسانية التي عكسها في أعماله .وذكرت كوك أن حقي بما قدم من إبداعات دحض مقولة "الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا"، وعاش يتحدى هذه المقولة في كل ما قدم من أعمال إبداعية(٢).

وأظهر ما تراه في أسلوب يحيي حقي حبه للغة العربية واستمساكه بها وإظهارها في ثوبها الهادئ الرائق الجذاب وقد كان يحب هو ذلك ويتعشق جهاده مع اللغة يقول: "إذا كان الزمن سيُنسي البعضَ آثاري ككاتب قصة وروائي، فلا أتصور أن يجور على جهادي مع اللغة، فقد خدمت العربية كثيرا، بمعنى أنني أخرجتها عن الميوعة

---

(١) مجله الرسالة، ثم نشر هذا المقال بعد ذلك في كتابه النقدي : كتب وشخصيات. الطبعة الأولي سنه١٩٤٦ صفحه ١٩٠.

(٢) وذلك في مؤتمر :وجوه يحيى حقي ، الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع منظمة اليونسكو في الفترة من ١٠ إلى ١٢ يناير ٢٠٠٥م ، نقلا عن : صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٠٠٥/١/١٧م.

والتشتت، واحترمتها أشد الاحترام، وقبلت يديها، وكأنها سيدتي الأولى، فهي صاحبة الفضل عليَّ"[١].

فاللغة عند يحيي حقي هي الإبداع هي الأدب كله لذلك لما غزا مصطلح الحداثة أدبنا العربي وصار الحديث عنه – وقد بهرت الحداثة الأوساط الأدبية في مصر في أواسط القرن الماضي – هو الشغل الشاغل للأدباء والنقاد تحدث يحيي حقي في مقالة بعنوان :أضواء علي القصة الحديثة. عن الموضوع فدخل من ثلاثة محاور رئيسية بسيطة[٢]، ولكنها تكون بيت القصيد في أي معالجة ناجحة للموضوع.

المحورالأول : يتعلق باللغة، حيث يبين يحيي حقي للشباب المندفع وراء بريق الحداثة، أن المرتكز الأساسي للحداثة هو اللغة[٣] وفي إيجاز معبر عن كنه الموضوع يقول وأسألهم _ بل واستحلفهم _

---

(١) ينظر: جهاد في الفن ، مصطفى عبد الله ،ط. المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة .

(٢) ينظر: الملحق الأدبي لجريدة المساء شهر شباط عام ١٩٦١م، مقالة بعنوان :أضواء علي القصة الحديثة. وهي منشورة في المجلد الخامس عشر من أعمال يحيي حقي الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٧) وعنوانه : أنشودة البساطة .

(٣) أو ما يسميه تشومسكي استعمال اللغة (competence) كنشاط يميز اللغة عن كونها مجرد معرفة أو أداة لتوصيل معرفة أو رسالة مقصودة، ويندرج هذا النشاط عند أشهر المحدثين الغربيين وخصوصا بارت تحت اسم بارول (Parole) وهو نشاط لغوي متجدد لا ينتهي عند حد في استعمالات مختلفة للغة في ظل نظام لغوي محكم يعرف بالفرنسية ب(Langue§) ، وكلا النشاط والنظام فرعان لما يعرف أصلا باللغة (Language) أي أن يحيي حقي كان يعرف مصدر الحداثة دون التحدث عنها أو التشدق بمصطلحات غير مصطلحاتها.

وهم يقرأون في مادة النقد الغربي الحديث، هل رأوا ناقدا واحدا فصل بين الأدب واللغة؟ هل رأوا ناقدا واحدا لا يضني نفسه أولا بالتمكن من معرفة أسرار لغته، وبفضل هذه الأسرار يوزع نقده علي الكتاب؟ هل اقتصر نقد شكسبير علي فنه المسرحي أو كان عماده تأمل لغته ووسائل تعبيره؟(١).

المحور الثاني: أن اللغة تصل إلينا عبر الزمن وهي محملة بالشحنات الحضارية والثقافية منتظرة الكاتب والقارئ ليقوم بتحريك هذه الشحنات وتفجير طاقاتها(٢)، فقد انتبه يحيي حقي إلي نقطة

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن اعتقاد يحيي حقي هذا الذي عبر عنه في أوائل الستينات ما زال يعتبر ركنا من أهم أركان الحداثة. ألم يقل فيرلين أن الثورة الأدبية في القرن العشرين ما هي إلا ثورة الكلمة، بمعني أن الحداثة لا تكمن في مضمون ولا تقنية ؟ نحن نعلم أن الغرب طلع علينا بقصة قصيرة ورواية حديثتين في هذا القرن، ليس باعتماده علي التراث بل باستعمال جديد للغة، فيها اللحمة بين الكلمة والمعني، وفيها اللغة متجددة (generative) بتجدد المناسبة والموضوع. فالناظر إلي التراث الأدبي الغربي في القرن العشرين مقارنة مع تراث القرن التاسع عشر لا يجد في الحاضر ذلك الامتداد أو الاعتماد علي الماضي. إن التراث كما يعتقد يحيي حقي والمحدثون يكمن في اللغة نفسها وفي تنشيطها لتعبر عن مكنوناتها التي تنتظر التفعيل علي يد الكاتب أولا ثم علي يد القارئ

(٢) فالكاتب والقارئ لا يبدآن من فراغ عند حصول التماس بينهما وبين اللغة. وكأن يحيي حقي أراد أن يقول أن اللغة العربية ليست كأي لغة من آلاف اللغات الإفريقية أو مئات اللغات الهندية التي كتبت لها استمرارية معينة دون تراث. عندما آثر سينجور زعيم الصومال السابق أن يكتب بالفرنسية فأنه فعل ذلك بعد أن وجد أن اللغة الأفريقية التي يعرفها مفرّغة من التراث.

مهمة وحقيقة هامة هنا وهي أن الحداثة والتراث والأدب مصدرها واحد، ألا وهو اللغة التي تتفرع منها كل هذه الأشياء[١].

والمحور الثالث: الذي فطن إليه يحيي حقي ، وهي أن الحداثة أكبر من أن يحدها أو يحددها جنس أدبي كالقصة القصيرة أو الرواية مثلا. والمثل الذي يقتطفه من ديوان عمر بن ربيعه يوضح أن الفن القصصي يتخطي حدود الجنس الأدبي، ففي الشعر مثلا قصص لا يقل روعة عما هو في النثر[٢] . ويستدل علي ذلك_ للشباب الغاضب علي التراث _ بقصة قصيرة جميلة في شعر عمر بن أبي ربيعة الذي يبدأ بالبيت المشهور :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أو رائح فمهجر

ثم يقول: هذه القصيدة تصلح لأن تكون حكاية علي غرار حكايات بوكاشيو، لأن الشاعر يصف مغامرة غرامية _ يرويها _ ثم يخلص إلي القول: تنتهي الحكاية هنا بانتهاء المغامرة، عرض علينا عمر حوادثها بترتيب وتسلسل، لها بداية ووسط ونهاية، ونقل لنا

---

(١) فأدب شكسبير وعصره الاليزابيثي يختلف عن أدب القرنين السابع والثامن عشر. وأدب هذه العصور الثلاثة يختلف عن أدب القرن العشرين بكل ما فيه من حداثة. ومرجع هذا الاختلاف هو استعمال اللغة. لم يقدِّم جويس الحداثة من خلال استعمال أسطورة الأوديسا ولم يقدمها لأنه حفيد شكسبير ولكنه قدمها من خلال استعمال جديد للغة الإنجليزية التي نحت منها لغة جعلته من رواد الحداثة في هذا العصر.

(٢) وحديث يحيي حقي هذا يصب في صلب الحداثة. فقد نادي النقاد الغربيون منذ أواخر الماضي بضرورة إلغاء الحواجز بين الأجناس الأدبية(genre) ، وفي العقود الأخيرة الماضية ظهرت دراسات بعنوان :القصة في مسرحيات شكسبير. وكتبت فيرجينيا وولف رواية (الأمواج) وكأنها قصيدة.

صورة ذكية لطبع الرجال والنساء وحديثهن وجـو الليـل والترقـب والحذر والحب والمتعة.

راح يحيي حقي يوضح أن القصة القصيرة كفن هي أكثر من بداية ووسط ونهاية ثم أسقط ذلك علي القصة الشعرية التي اختارها فبيّن أن المشهد الأخير في قصة عمر بن أبي ربيعة يفـوق التقنيـة _المتسلسلة_إن صح التعبير، وهي نهاية تفوق كل نهايـة مرتبطـة ببداية ووسط. وبهذا نصل إلي المحور الثالث الذي يدخل منه لمعالجة الموضوع. يقول يحيي حقي: تعالوا معي إذن نري كيف أنهي عمـر قصيدته، نعلم من الأبيات الأخيرة أن مغامراته لا تنسيه عناء مخلوق هو أول عون له علي قضاء مأربه وهي ناقته التي سخرها لأسفاره.. ثم يستشهد ببيت القصيد :

فسـافت ومـا عافـت ومـا رد شـربها ∴ عـن الـري مطـروق مـن المـاء اكـدر

إنها فعلا نهاية جميلة يلاحظها يحيي حقي، فهي تـوازي بـين محنة عمر ومحنة ناقته موازاة فنية رائعة: كلاهما قسا عليه الظرف وتركه ظمآنا. وهكذا يتضح لنا الظمأ المحسـوس وتتـداخل أجـزاء الصورة بعضا ببعض بشكل عفوي وعضوي يفـوق مجـرد البنيـة العضوية..

فولاء يحيي حقي كان للكلمة لحقّها عليه وحقيقتها عنده[١].

أسلوبه المصري :

الأسلوب المصري يمتزج به ويخالطه بحيث لا يمكـن فصـل الأسلوب المصري عنه ولا فصله هو عن الأسلوب المصري مـع أن

---

(١) نقلا عن جريدة :أخبار الأدب، فـي ٢٠٠٥/٤/١٧م (بتصـرف) مقال بعنوان: يحيي حقي.. منارة لا مرآة ، محمد شاهين .

يحيي حقي من أصول تركية يقول يحيي حقي عن نفسه: أما الظاهرة الغريبة التي أحار كثيرًا في تحليلها وأنا أتأمل حياتي وإنتاجي، فهي أني، وإن كنت من أصل تركي قريب، أحسّ بأني شديد الاندماج بتربة مصر وأهلها، وفي بعض الأحيان يرجّني هذا الشعور رجّا عنيفًا. ومعرفتي باللغة العامية المصرية وتعبيراتها تفوق ما حصّلته منها مباشرة. وقد يكون ذلك راجعًا إلى الفطرة والحدس والإحساس غير الواعي. ولعل هذا الحب هو الذي يميل بي إلى استخدام بعض الكلمات العامية في كتاباتي رغم أني من المهووسين بالفصحى.

ومن مميزات يحيي حقي :

– أن الإبداع الأدبي لديه كان له قيمة فنية وفكرية وجمالية، فقد كانت لديه قدرة عجيبة على استشراف آفاق المستقبل الأدبي، كما كان متمكنًا من الأداة اللغوية، عارفًا بتراث أمته وتاريخها، وهو ما أضفى على أدبه سحرًا فريدًا .فهو يجمع بين جمال الصياغة وروعة الفكرة والإحساس المرهف، مع الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاق السامية وإعلاء المثل العليا .وقد خرجت كتاباته في لغة قصصية متميزة في إيقاعها وتراكيبها، متوهجة بالمشاعر والأحاسيس، متدفقة بالحركة، نابضة بالحياة، ذات قدرة فائقة على الإيحاء والتجسيد، والتأثير في المتلقي .

– يمتاز يحيي حقي بالحرفية الشديدة في الاختزال ؛ فهو روائي يختزل الحوادث كثيرا لأنه يرغب في الوصول إلي هدفه بأقصى سرعة وهذا أمر شائع في كتاباته مثل اختزاله خمسة عشر عاما التي قضاها بطل قصته (أبو فودة) في السجن وخرج وهو ذاهب إلي بلده مع استقبال الناس له" الضحكة واحدة رغم بقائه خمس عشرة سنة سجينا . قد تكون لعبت بجسمه ما شاءت ولكنها ، لم تمس روحه . وها هو يعود كما كان ، شابا نفسه منفتحة للحياة ، ولا يدرى أحد

الآن بعد هذا الغياب ما مقدار جوعها رغم هزاله ، وما بين قدميه والأرض من نضال"[١].

ومن مميزات حقي "الأسلوب العلمي أو الحتمية في الأسلوب فهناك كلمة واحدة فقط تؤدي معنى بذاته، وهناك لفظ أو تركيب لغوي واحد فقط يفي بمقتضيات إحساس أو موضوع ما؛ فالعقيدة اللغوية عند حقي تقوم على أساس متضمن ومفترض، وليس موضوعا للمناقشة عنده ، يتمثل في أن هناك معنى أو إحساسا أو موضوعا موجود وقائما ، وان هناك في الوقت ذاته كلمة أو لفظا أو تركيبا لغويا على الكاتب أن يبحث عنه ويجده للتعبير عن المعنى أو الإحساس أو الموضوع الذي يتصدى له ، فليس هناك فصل حاسم بين عالم المعاني وعالم الألفاظ، وان الكلمة عنده تسهم إسهاما جوهريا في إيجاد المعنى وتكوينه، وفي خلق الحس أو الانفعال الذي لا يوجد حقا أو فعلا إلا بها، كما أن الصياغة بذاتها مقوم جوهري من مقومات المعنى ليست تابعة له[٢]".

ومن مميزات حقي " أن التخييل القصصي عنده شكل أفقا للمبادرة والابتكار، وتجاوز الرتابة الاجتماعية والواقعية الفجة. والشخصية القصصية ذات الملمح التخييلي تتوارى في حكاياته لصالح الإنسان، حيث يستخدم في التعبير عنها سردا تعبيريا وتصويريا، راسما الحدث والمشهد معا. وقد جعل ذلك الكتابة

---

(١) دماء وطين :١٠٧

(٢) ينظر دراسة بعنوان: العقيدة اللغوية عند يحيى حقي ، ادوار الخراط ، في مؤتمر : وجوه يحيى حقي ، الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع منظمة اليونسكو في الفترة من ١٠ إلى ١٢ يناير ٢٠٠٥م ، نقلا عن : صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٠٠٥/١/١٧م.

القصصية عنده كتابة واقعية انتقادية تمزج العام بالخاص عبر السخرية والاحتفال بالموقف النبيل[١]".

العامية عنده في المجموعة:

نحن لا نقر كاتبا علي العامية في الكتابة فإن العربية فيها غناء وكفاية لكل كاتب ويستطيع من خلال درجتها السهلة المتاحة أن يقول كل ما يريد وفي الوقت ذاته ينتقي من اللغة درجة مستعملة كثيرا حتى يفهمه جميع الناس من كل المستويات وقد وفق حقي في ذلك في السرد :... وهو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورتها اللغوية .... [٢]" أو هو نقل هذه الوقائع بتفاصيلها بواسطة ألفاظ و تعابير فنية جميلة .

وأما في حديثة علي لسان الأشخاص- وهم أبطال القصة الشخصيات الرئيسية و الشخصيات الثانوية- فقد استعمل العامية ويغتفر له ذلك لأنه حدد مكانا وزمانا لأحداث قصته وكان يريد أن يعطي صورة واقعية أو حقيقية قدر المستطاع لذا استعمل العامية.

وإن كنا نحب أن يسرد بالفصحى السهلة القريبة لحرصنا عليها وصونا للأدب ورقية عن سماجة العامية وابتذالها.

---

(١) ينظر دراسة بعنوان: قراءة الأبنية الفنية،ومضامين يحيى حقي الحكائية في قصصه ، عبد الفتاح الحجمري، في مؤتمر: وجوه يحيى حقي ، الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع منظمة اليونسكو في الفترة من ١٠ إلى ١٢ يناير ٢٠٠٥م ، نقلا عن : صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٠٠٥/١/١٧م.

(٢) الأدب وفنونه دراسة ونقد ، عزالدين إسماعيل،ص:١٦٠ .

الفصل الثاني

مجموعة دماء وطين[١]

المجموعة نظرة تحليلية.

وهي عبارة عن مجموعة قصصية مكونة من ست قصص بدأها بمقدمة تحدث فيها عن ذكرياته منذ طفولته مع فيضان النيل وعن الصعيد ورجاله وما يعانونه في الصعيد من حر شديد وقلة رزق مما يدفعهم للسفر للبحث عن القوت في القاهرة والإسكندرية وأرواحهم المغتربة وأشواقهم في غربتهم ونفوسهم التي لا تسلم من قسوة وقوة وما يعتريها ثم يذكر بعض أناشيدهم ثم يذكر عامين قضاهما في الصعيد ثم تغربه بعد ذلك عن مصر كلها ثم يدلف إلي قصصه والذي دفعه لكتابتها ما يراه من ظلم يتعرض له وطنه...

---

(١) الطبعة التي قرأتها وقمت بدراستها هي طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م هي بعنوان :دماء وطين مع ثلاث قصص أخري .وهنا نشير إلي أن يحيى حقي عمل في مدينة منفلوط الصغيرة معاونا للإدارة من عام :١٩٢٧ إلي عام: ١٩٢٩م وهي وظيفة كانت تلقى عليها كل الوزارات بأعبائها مما يدخل شاغلها فى أدق تفاصيل الحياة اليومية، وقد سجل هذه الفترة في أدبه بطريقتين مختلفين لكنهما متداخلان : الأولى : هي التسجيل الواقعي المباشر لذكريات الكاتب وآرائه فى خليها على الله ١٩٥٩م.والثانية : هو التعبير الفني الخالص فى هذه المجموعة (دماء وطين) ،و(أم العواجز) .والمستويان متداخلان لأنك ستجد البذور الواقعية لبعض هذه القصص فى ذكريات الكاتب وآرائه واكتف بمثال واحد قصة البوسطجي وهى واحدة من أفضل هذه القصص وأفضل قصص صاحبها على الإطلاق ترجع أصولها لبعض الذكريات عن فصل بعنوان تشريح الجثة أخذ الكاتب فكرتها الأساسية : الفتاة التي تخطئ مع خطبيها وتحول ظروف عابرة دون إتمام الزواج ، فكيف يكون مصيرها القتل على يد الأب .

والقصة الأول هي أشهرها وهي قصة :البوسطجي[١] وقد بلغت من الشهرة مبلغا كبيرا سيما بعد أن قامت السينما المصرية بعمل فيلم يحمل نفس الاسم ، وفازت بعدد كبير من الجوائز، وترجمها إلي الفرنسية سيد عطية أبو النجا.

ثم القصة الثانية بعنوان :قصة في سجن ، والثالثة بعنوان:أبو فودة وقد نشرها في جريدة السياسة الأسبوعية ملحق العدد : ٣٠٢٧ في ١٩٣٣/٢/٣م ،وملحق العدد: ٣٠٥٧ في:١٩٣٣/٣/١١م ،والرابعة بعنوان: حياة لص وقد نشرها في جريدة السياسة في: ١٩٢٦/١٢/١٠م ،والخامسة بعنوان : قهوة ديمتري وقد نشرها في جريدة السياسة في: ١٩٢٦/١٢/٢٢م ،والسادسة بعنوان: من المجنون ،وقد نشرها في جريدة السياسة في: ١٩٢٧/١/١٤م .وقد نشر المجموعة (دماء وطين) سنة ١٩٤٥م.

وهي علي بساطتها قصص غنية بالتلميحات والإشارات والإيحاءات،بقدر ما هي بعيده كل البعد عن الخطابة والوعظ والتعقيدات الفكرية.إنها قصص تأخذك بسحرها من يدك، وتتحدث

---

(١) هذه القصة عدها سيد حامد النساج رواية فقد قال ص: ٤ :"...يضاف لما سبق،أن كتاب الفترة من ١٩١٠- ١٩٣٣ تحولوا او كادوا يتحولون إلى الرواية ، فإن أحمد خيري سعيد ألف رواية (على بك الكبير)١٩٣٥م...، ويحي حقي البوسطجي ١٩٣٤م..."٠

ثم عاد فعد المجموعة كلها (دماء وطين) قصص قصيرة يقول ص: ١٣ :" ويحي حقي لم يعن بإعادة نشر قصصه القصير الأولى ظهرت على صفحات(الفجر)و(السياسة) و(المجلة الجديدة) وغيرها فهل معنى ذلك أنه بدأ كاتبا قصص قصيرة فقط منذ صدرت له (قنديل أم هاشم) و(دماء وطين)؟!انظر :تطور فن القصة القصيرة فى مصر من سنة ١٩١٠ إلى ١٩٣٣، سيد حامد النساج أصدرتها وزارة الثقاة الجمهورية العربية المتحدة القاهرة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

معك في همس جميل،وأحيانا في بكاء ضارع ،ومرة بتعنيف شـديد، ولا تقول لك كل شيء بل تتركك وحدك مع نفسك لتتأمل وتفكر وتصل إلي ما تشاء من نتائج، لتشعر أن هذه النتائج هي ثمـره اجتهـادك وليست ثمره إملاء الفنان صاحب القصص عليك، وهذا هو ما يضمن للفن قوته وجماله وتأثيره المستمر القوي علي الناس؛لأن فن الخطب الوعظي أو الحديث المباشر أو النصيحة السهلة لا يعـيش، وإنمـا يعيش الفن الهامس ،الذي اشترك المتلقي مع المبـدع فـي فهمـه والتأثر به الذي خرج من قلب الفنان وأخذ من صفاء روحة وامتزج بإنسانيته وليس ما كتبه بقلمه أو أخرجه من حنجرته أو كد فيه ذهنه وأتعب فيه عقله.

وقد استخدم فيها يحيي حقي خاصـية جديـدة وهـي البـدء بالأحداث القديمة(الفلاش باك) وتدّعي ابنته أنه أول كاتب يستخدمها تقول ابنته نهي حقي:" هذا الكاتب الإنسان أقول بفخر هو أول مـن استخدم (الفلاش باك) أي البدء بالأحداث المتأخرة في القصة .."[١].

وقد استطاع فيها ببراعة أو قل تم له إمكانية تصوير الروح المصرية الصميمة الكامنة العريقة العميقة تطل كما هي في أعماقها ، وهي تطل من خلال اللمسات السريعة الرشـيقة الموحيـة، ومعهـا الحيوية والفن والشاعرية والإبداع وتم له تصوير النفس الصـعيدية بما تحمل من موروثات قديمة وعادات متأصلة ونفسية تستبسل فـي الدفاع عن هذا الميراث بما يوافق العقل أو يخالفه.

فهي ذاكرة حية لواقع الحيـاة الصـعيدية المصـرية، وهـي انعكاس أنماط الحياة والتقاليد الاجتماعية في صعيد مصر وريفها.

---

(١) مقال بعنوان :أبي ثمرة حـب ،نهـي حقـي، مجلـة العربـي ، العدد:٥٥٤،ذو القعدة ١٤٢٥هـ، يناير ٢٠٠٥م.

هي نقد للواقع الاجتماعي للأمة، يجمع بين جمال الصياغة،وروعة الفكرة ،والإحساس المرهف، مع الاهتمام بالقيم الدينية ،والأخلاق السامية ، وإعلاء المثل العليا؛ فالواقع الذي أوضحه فى هذه المجموعة هو اهتمام الكاتب بوصف قوة الغريزة الجنسية وتوثبها للانطلاق وتحقيق الارتواء رغم ما يتبع هذا من دمار ثم تلك الخيوط التي تتحكم فى مصائر البشر ، تحوكها تقاليد راسخة كالقدر . ويمكن أن تلحظ ذلك في معظم القصص ولك أن تراجع المشاهد المختلفة مشهد جميلة وخليل في (البوسطجي) ومشهد اللقاء بين الراعي الغفل والغجرية فى (قصة من سجن) ثم اللقاء بين جاسر الذي قضى فى السجن خمسة عشر عاما ونرجس البحرواية اللعوب صاحبة التجارب مع الرجال فى (أبو فودة).لكنه يؤكد علي أن القدر المحتوم يهبط على الخلائق ولا بد لهذا القدر أن يعاقب المخطئ قد يتأخر هذا العقاب قليلا أو كثيرا لكنه حتما سيجئ : (عليوة) الراعي حين يستسلم للغجرية يفقد شرفه وقطيعه ويتعرض للضرب والمهانة فى السجن و(جاسر) بعد أن يرتب لقتل قريبه ويعيش مع البحرواية فى لذة لا يعرفها معظم الناس تتفجر شحنة الديناميت فى وجهه وهو يعمل فى الجبل فيفقد بصره وينتهي إلى التسول !.

وقد ظهر في هذه المجموعة واضحا "اهتمام يحيي حقي بتحليل النفس البشرية المعقدة، وتحدث عن الشعور واللاشعور، وبرع في تقديم قصص بأسلوب شيق للغاية عكس براعته في تناول شخصيات أعماله... وقد استطاع أن يبرز صور التربة والماء، وما

يرتبط بها من أحاسيس العمق أو الرخاوة التي تشكل الجو العام الذي تتحرك فيه الشخصيات في القصص"[١].

وأما لغتها القصصية فقد خرجت متميزة في إيقاعها وتراكيبها، متوهجة بالمشاعر والأحاسيس، متدفقة بالحركة، نابضة بالحياة، ذات قدرة فائقة على الإيحاء والتجسيد، والتأثير في المتلقي.

هذه المجموعة أضف إليها (أم العواجز)" تعبير فني وإنساني عذب عن تلك المنطقة من أرضنا،التي أهملت زمنا طويلا ،تعبير عن ناسها وتقاليدها وحيوانها ونباتها ،يقدمه لنا قلب محب مشارك متفهم يرى كل ما حوله فلا يقنع إلا إن وصل منه لأعماقه ،لا تقف عينه عند السطح وإن أغراها لكنه تغوص – فتحسن الغوص – وتضم – فى كل واحد – الطبيعة والإنسان والحيوان . هنا في الصعيد وبين (الصعايدة) حيث عاش يحيى حقي فأحبهم أكاد أكون واثقا أنهم أحبوه ... راقبهم فى سعيهم اليومي الدءوب ، على شفتيه ابتسامة مشاركة عطوف ، ليس متعاليا و لا منعزلا ، وإن كان من صفوة الموظفين المؤهلين للتعالي والانعزال مشاركا فى طعامهم وسمرهم، محاورا لهم ، ساعيا إلى فهمهم[٢].

---

(١) ينظر دراسة بعنوان: ارتباط المكان بالعناصر الطبيعية في بعض قصص يحيى حقي ، جيهان كيرة ،الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع منظمة اليونسكو في الفترة من ١٠ إلى ١٢ يناير ٢٠٠٥م ، نقلا عن : صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٠٠٥/١/١٧م.

(٢) ينظر : مقال بعنوان : نظرة طائر إلي عمله الإبداعي ، فاروق عبد القادر، مجلة العربي ، العدد:٥٥٤، ذو القعدة ١٤٢٥هـ، يناير ٢٠٠٥م.وهو في هذا المقال كان يتحدث عن مجموعة (دماء وطين) ،و(أم العواجز) فهما عند الكاتب صعيديات يحيي حقي.

نحن في هذه المجموعة ومعها (أم العواجز) هنا أمام تفسرين مترابطين:-

الأول: إن يحيى حقي كاتب أخلاقي ولأنه فنان صادق فهو ينأى عن الوعظ والمباشرة لكنه يسوق الأحداث فى قصصه بحيث تحقق لمغزى الأخلاقي الذي يهدف إليه الدمار الجسدي والروحي نصيب هؤلاء الذين يستسلمون لأسر الغريزة وقوتها القاهرة ولا يعملون الإرادة فى تطويعها بحيث يقودونها ولا تقودهم ٠

الثاني: هو أن لحظة التحرر من شروط الواقع القاسي ومحاولة امتلاك العالم والسيطرة عليه ولأن هذه الشروط أكثر قسوة ورسوخها من أن يدمرها تمرد فردى فستظل راسخة ويرتد الدمار إلى الذات٠

ويبقى أن هذه الصعيديات تتكامل فيما بينها وتقدم نوعا من التعبير الفني عن واقع الحياة فى صعيد مصر عشرينات وثلاثينات القرن الماضي كما تقدم قراءتها – جنبا لجنب ذكريات الكاتب عن الواقع نفسه – مادة ثرية لملاحظة إبداع الكاتب وهو ينطلق ليصوغ هذا الواقع صياغة فنية خالصة[١].

المجموعة وعناصرها فنيا:

يقول محمود تيمور:" القصة بمعناها العام ،تتألف عادة من ثلاثة عناصر رئيسية هي:الموضوع ، والشخصيات ، والحوار، وهذا العنصر الثالث ليس من المقومات المحتومة دائما ولكنه لازم في أغلب الأحيان، فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ،ثم تنطرق إلي ظهور العقدة، ثم تتوصل إلي حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل[٢]".

---

(١) ينظر: المصدر السابق (بتصرف)

(٢) فن القصص دراسات في القصة والمسرح ، محمود تيمور، ص:١٠١ ،ط.مكتبة الآداب .

استقر الأدباء والنقاد علـــي أن عناصـــر القصـــة القصـــيرة – بإيجاز – هي:-

الحادثة(الحوادث): وهي " مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة علي نحو خاص هو ما يمكن أن نسميه الإطار[١]".

السرد :... وهو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورتها اللغوية .... [٢]" أو هو نقل هذه الوقائع بتفاصيلها بواسطة ألفـــاظ و تعابير فنية جميلة .

البناء: وهو الطريقة الفنية التي اعتمدها الكاتب لنقل الأحـــداث بطرقة مشوقة.

الأشخاص: وهـــم أبطـــال القصـــة الشخصـــيات الرئيســـية و الشخصيات الثانوية.

الزمان و المكان : تكون القصة حية إذا ارتبطت بأحوال وعادات الزمكان.

الفكرة : وهي موضوع القصة غير أن الكاتب يصوغ هذه الفكرة بطريقة فنية.

الحبكة : وهي الطريقة التي يسلسل فيهـــا المؤلـــف الأحـــداث للوصول إلى النهاية.

الأسلوب: هو ما يميز كاتباً عن الآخر.

---

(١) الأدب وفنونه دراسة ونقد ،عزالدين إسماعيل، ص:١٥٩ ،الناشر: دار النشر المصرية (الأولي)١٩٥٥م.
(٢) الأدب وفنونه دراسة ونقد ، عزالدين إسماعيل،ص:١٦٠ .

الصراع: هو تضارب يأخذ بالتضخم بين قوّتين : الإنسان والقدر، القديم والجديد ، الفرد والمجتمع ، الإنسان والطبيعة ، أو قوى مختلفة في نفس الإنسان.

وبعض الأدباء والنقاد يري عناصر القصة هي:

١- الفكرة والمغزى: وهو الهدف الذي يحاول الكاتب عرضه في القصة ، أو هو الدرس والعبرة التي يريد منا تعلُّمه ؛ لذلك يفضل قراءة القصة أكثر من مرة واستبعاد الأحكام المسبقة ، والتركيز على العلاقة بين الأشخاص والأحداث والأفكار المطروحة ، وربط كل ذلك بعنوان القصة وأسماء الشخوص وطبقاتهم الاجتماعية ...

٢- الحدث: وهو مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببياً ،تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى ... وتتحقق وحدة الحدث عندما يجيب الكاتب على أربعة أسئلة هي: كيف وأين ومتى ولماذا وقع الحدث؟.ويعرض الكاتب الحدث بوجهة نظر الراوي الذي يقدم لنا معلومات كلية أو جزئية ، فالراوي قد يكون كلي العلم ، أو محدودة ،وقد يكون بصيغة الأنا(السردي) .وقد لا يكون في القصة راوٍ، وإنما يعتمد الحدث حينئذٍ على حوار الشخصيات والزمان والمكان وما ينتج عن ذلك من صراع يطور الحدث ويدفعه إلى الأمام .أو يعتمد على الحديث الداخلي ...

٣- العقدة أوالحبكة : وهي مجموعة من الحوادث مرتبطة زمنيا.. [١].

---

(١) ومعيار الحبكة الممتازة هو وحدتها ،ولفهم الحبكة يمكن للقارئ أن يسأل نفسه الأسئلة التالية : ما الصراع الذي تدور حوله الحبكة ؟ أهو داخلي أم خارجي؟ ما أهم الحوادث التي تشكل الحبكة ؟ وهل

٤- الشخوص: يختار الكاتب شخوصه من الحياة عادة ، ويحرص على عرضها واضحة في الأبعاد التالية :

أولا : البعد الجسمي: ويتمثل في صفات الجسم من طول وقصر وبدانة ونحافة وذكر أو أنثى وعيوبها ، وسنها .

ثانيا: البعد الاجتماعي: ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية وفي نوع العمل الذي يقوم به وثقافته ونشاطه وكل ظروفه المؤثرة في حياته ، ودينه وجنسيته وهواياته .

ثالثا: البعد النفسي: ويكون في الاستعداد والسلوك من رغبات وآمال وعزيمة وفكر ، ومزاج الشخصية من انفعال وهدوء وانطواء أو انبساط .

والعقدة (تسلسل الحوادث) والشخصية هما "الدعامتان الأساسيتان للفن القصصي الحديث.. [١]".

٥- البيئة : تعد البيئة الوسط الطبيعي الذي تجري ضمنه الأحداث وتتحرك فيه الشخوص ضمن بيئة مكانية وزمانية.

فلابد من توافر هذه العناصر مجتمعة فلابد أن". تكون المادة خصبة ، والفكرة والمعني واضحان في ذهنك،والشخصيات مستعدة لدخول حياتها الخيالية، وتعرف في داخلك عما ستدور قصتك، ولديك الشخصية الرئيسية، أو الشخصيات والجمل التي ستبدأ بها قصتك

الحوادث مرتبة على نسق تاريخي أم نفسي؟ ما التغيرات الحاصلة بين بداية الحبكة ونهايتها ؟ وهل هي مقنعة أم مفتعلة ؟ هل الحبكة متماسكة ؟ هل يمكن شرح الحبكة بالاعتماد على عناصرها من عرض وحدث صاعد وأزمة، وحدث نازل وخاتمة؟.

(١) القصة القصيرة في مصر دراسة في تأصيل فن أدبي،شكري محمد عياد ، ص:١٢ ، الناشر: أصدقاء الكتاب (الرابعة) ١٩٩٩م.

وربما تتخيل مراحل قصتك ونهايتها المؤثرة ،و... يكون لديك كل إرهاصات القصة ، مع العزم والتصميم لوضعها علي الورق" [١].

وقد أجاد يحيي حقي في إظهار هذه العناصر في قصص المجموعة إجادة تامة ولنبدأ بالقصة الرئيسية وهي قصة (البوسطجي) فموضوعه عادة القتل في الصعيد للفتاة التي تحمل بدون زواج دون النظر لأي اعتبارات أخري يوضح ذلك :" لمن تشتكي فتاة لا تعرف من المآزق والمخاطر شيئا، تري نفسها أمام مشكلة ليست مثلها في الحياة . هي عقدة كلها اصطدام ونزاع ، وخيوطها من ديانة وتقاليد ووهم ، موشجة بحكم الدم والجسم . وسر الحياة لا يهمه ما يعتقد الناس .لا رحمة فيها . جبروتها قلما يستطيع أن يثور عليه رجل يعيش في وسط الصعيد وبعقلية يرثها عن أجيال لا تتسامح ولا تلين[٢]".

ويسرد بدقة شديدة كل شئ في قصته حتى التفاصيل الصغيرة " وجد حسنى صديقه راقدا فى سرير صغير ، فى غرفة مملوءة بالتراب وأسراب الذباب . أمامه منضدة صاج مخربشة كالحة ذات ثلاث أرجل، وكرسي واحد أخذه حسنى وجلس بجانب النافذة[٣]" .

والشخوص الرئيسية عنده عباس أفندي البوسطجي وهو الذي يبلور الحدث ويظهره يصوره" نشأ عباس من أسرة كل أفرادها موظفون صغار لم يبرحوا القاهرة . كلهم يؤكدون أنهم من سلالة عربية (تشهد عيونه السود ووجهه الضيق الطويل) ، وبعضهم يضيف أنهم من السادات رغم أنهم من السادات رغم أن سلسلة

---

(١) كتابة: القصة القصيرة ، تأليف: هالي بيرنت ، ترجمة: أحمد عمر شاهين ، ص:٩١،٩٢ . كتاب الهلال ، ط . دار الهلال.
(٢) دماء وطين ،ص:٦١ .
(٣) دماء وطين ،ص:٢٥.

النسب الغريب التي يحفظونها تنتهي عند جدهم الثالث كل ما يعرفونه عنه أنه هبط مصر من طرابلس ، واستقر بالفحامين فى تجارة صغيرة قوامها الشاي والبلغ . وعند وفاته أقفل الدكان ، وتفرق أولاده من المدارس على وظائف حكومية . معظمهم مات بعده بقليل، وهم فى مطلع الرجولة . فقطعوا بذلك ماضي الأسرة عن جيلها الحاضر[١]" .

والشخصية الثانية محور الحدث جميلة لها "صوت رفيع كله تضرع وخشوع ،..ترث أباها في ذوقه الموسيقي"[٢] وهي "فتاة نحيلة قصيرة يتمشي سر الحياة في جسمها فينبت ثدياها"[٣] والتي يتعاطف معها الكاتب ويجعلنا جميعا كذلك بنت المعلم سلامة والتي غرر بها خليل ويصفه حقي فهو شاب صغير وجهه يزينه " شارب صغير – صغير جدا- شعر خفيف ، يزين شفته. في حديثه لثغة لا ينساها من يسمعها . خده لم يعرف الموسى إلا من وقت قريب يحمر ويصفر إذا تلاقى نظراهما[٤]" وهو ليس لئيما إنما سنه الصغير وقلة خبرته" يظلم هذا الشاب من يتهمه بأنه غشاش أو مخادع . كل ما فى الأمر أنه قليل التجربة ، يقدم بسذاجة على أدق المواقف جاهلا بما فى شعائر الحياة من صلابة"[٥] وهو الذي كانت بينهما المراسلات.

ثم هناك شخصية والد الفتاة المعلم سلامة والذي يصفه حقي" من تجار النحل في البلدة المعلم سلامة .رجل يقول المسلمون عنه

---

(١) دماء وطين ،ص:٢٧.
(٢) دماء وطين ،ص:٤٨
(٣) دماء وطين ،ص:٤٩
(٤) دماء وطين ،ص: ٥٠ .
(٥) دماء وطين ،ص:٥٨

"عضمة زرقة" ومع ذلك لا يشعرون إذا جالسوه بأي كره له.لا لأنه بحكم مهنته بعيد عن المساقي ومشاجراتها والحدود وخصوماتها، والمواشي تنزل في البرسيم ، والماء يمر بالقوة ، بل لأنه رغم ما يقال عن شيبته الزرقاء(أيضا!) لا يكاد يفترق في مظهره ، في أخلاقه وعاداته ، عن بقية المسلمين .اللبس واحد، والعمامة فزق رأسه عليها المقدار ذاته من التراب .تتحجب امرأته في الطريق كأهل البلد"[١].

ثم حسني أفندي معاون المباحث وهو المتعاطف مع عباس أفندي لأنه مثله ابن مدينة ويعيش في هذه البيئة والتي يوافق عباس أفندي في رأيه فيها.

وهناك شخصيات أخري قي الأحداث ثانوية لكنها مؤثرة في الأحداث تأثيرا كبيرا مثل شخصية العمدة والتي كان لها أثر كبير في عباس أفندي فهو" هذا الفلاح الجاهل ، الجلف مكانه وراء الجاموسة لا بين الناس ... [٢]" و"لسانه زفر"[٣] وهو" السيئ النية الخبيث"[٤] وهو من أكبر العوامل النفسية الضاغطة عليه. وهناك شخصية أم أحمد وهي شخصية مهمة ومؤثرة في سير الأحداث " أم أحمد تتعصب بمنديل (بقوية مفلفل) وتغطى وجهها بطرف طرحتها قلما تزيحه ، حتى يظهر لها بفضل رقة صوتها جمال الظن والحدس على أنها إذا تكلمت تضعف من جديد أمام اعتقادها فى نفسها وفى حرها الذي لا يزول ، فهي تزيح لمحدثها طرحتها لحظة واحدة . ثم تعود لصوابها وتغطى ووجهها ثانية فى حركة سريعة ، كلها جبن وتردد ،

---

(١) دماء وطين ،ص:٤٧
(٢) دماء وطين ،ص:١٨
(٣) دماء وطين ،ص:١٩
(٤) دماء وطين ،ص:٢٠

يتمثل فيها نزاع حاد لا ينتهي بين قوى متكافئة : غرورها وحصافتها[١] "و"هي امرأة تزوجت أربع مرات،فارقها كل زوج بطلاق بعد عشرة قصيرة ،وتسني لها بفضل هذه المجموعة ان تشتري بما جمعته من مؤخر المهور فدانا ونصف جاموسة، هي ماشطة "بلانة" في الأفراح ، حادية بالغناء عند طلوع الحجاج، والمقدسيين! ورجوعهم، داية إن استغاث بها جار قريب،تعرف وصفات، وتفسر الأحلام ،وتحسب النجوم تفوح منها رائحة المأورد، كل مناسبة اجتماعية تكون فيها أم احمد بلا دعوة ..إلا في المآتم فهي لا تطيقها، ولعل ذلك لأنها لم تخلف في زواجها المتوالي ، ولم تفجع كمعظم المتطوعات باللطم أو "الصوات" في ولد عزيز ..إذا قابلت فتاة كلمتها رأسا، ولو كانت تعرفها لأول مرة، عن جسمها وثوبها وشعرها وحمامها،وإن كانت امرأة سألتها عن زوجها وعاداته ونوبات مرضه وهجرانه.. [٢]".

...وقد وصف هذه الشخصيات بدنيا واجتماعيا ونفسيا وصفا دقيقا حتى يشعر القارئ أنه يعيش معهم ويعرفهم تمام المعرفة كما رأينا ....

ثم حدد المكان بدقة(كوم النحل) ووصفه وصفا دقيقا حتى استعرض تاريخ إطلاق الاسم وما قيل فيه ..." كوم النحل من أعمال مركز ... بأسيوط .ليس فيها أحد يستطيع أن يجيب : هل النحل هو الذي خلق البلدة . أم هي التي خلقت لنفسها هذه التسمية ؟ كل ما يظفر به الباحث سطر ونصف فى خطط على مبارك :"مشهورة بجودة عسلها . بينها وبين مركز ... خمسة عشر كيلو متر). لم يقرظها باسم أسرة واحدة مشهورة ، ولكن الظواهر تدل على أنها بلدة قديمة

---

(١) دماء وطين ،ص:٣٨

(٢) دماء وطين ،ص:٥٥

. قد يرجع سبب إهمالها إلى أن آثارها لم تكتشف بعد ، فهي لم تتأثر بالطوفان العربي ، وتكاد تنفرد عن بقية بلاد المركز بأن اسمها ليس مسبوقا "ببني " أو ينم عن اسمها قبيلة . هي واقعة على الجسر الطوالى). بعدها عن الجبل نفور ظاهر عن حياة البدو . وارتفاعها عن وسط الحوض ترفع عن الزراعة"[١].

وكذلك بين الزمان بدقة..

وسار في الأحداث بالتصاعد حتى بلغت العقدة أوجها وأظهر العقدة في فصل بعنوان: سقطة البوسطجي. وفيه يظهر تصاعد الأحداث بشدة حتى نصل إلي العقدة الكاملة والتي ينتهي آخر أمل في حلها بموت الوسيط بين الحبيبين الذي يعرفه البوسطجي " أم أحمد تعيش أنت . وعلا حواليه صراخ النائحات ، وخيل إليه وهو مشتت الذهن أن كل هذا الجمع الأسود كسرب من غربان الشؤم ، يصوت عليه وعلى مصيبته الثقيلة وبخته المائل."وقفت مذهول .طب ماتت ماتت . مرة كركوبة فى داهية لكن الجواب اللى فى جيبى أعمل فيه إيه ؟ الغلطة بتاعتى بدل م تتصلح اتهببت زيادة . ح اضطر أرجع الجواب للعموم وأقول عليه (المرسل إليه متوفى). لو كنت ما بوظتش الجواب الأولانى كانت جميلة عرفت مطرح خليل وكتبت له على عنوان جديد بعد موت أم أحمد . واتفقت وياه على حاجة . جيت أنا بسلامتى وقطعت الخيط اللى بين الاثنين. والمصيبة إن الغلطة دى ما تحصلش إلا والبنت فى كرب تقريبا بتسبغيث .ح تقول عليه إيه؟ لازم ح تفهم إنه بيتهرب منها والجدع مظلوم . ويمكن كان ييجي لو كتبت له مرة ثانية. مين يعرف؟ وأرجع أقول يتفلقوا الكل سوا أنا عاوز أخلص نفسي وبس. حرمت ألعب في جوابات العيال

---

(١) دماء وطين ،ص:٤٦

دول توما ما يكتبوا لبعض من جديد .لكن ازاي؟ ازاي اتوصل لحيلة؟"[١].

ثم كانت النهاية عند أجراس الكنائس التي تؤذن بنهاية الفتاة ونهاية أحداث القصة..."وساد في الغرفة صمت، جفون حسني لا تستقر، وانتبه الرجلان علي صوت جرس الكنيسة الصغيرة يدق إشعارا بموت .. يكاد ينطق فقد يعبر النحاس في بعض الأحيان عن منتهي حزن الإنسان وألمه.. [٢]" .

وفي القصة الثانية (قصة في سجن) فالحدث هو خيانة عليوي للأمانة التي حملها له المزارع أخو العمدة لتوصيلها للمنيا وهي ٦٥ رأس غنم وضياعها عند الغجر بسبب الغجرية وقد وثق فيه أخو العمدة وقد وجده عاطلا بعد فيضان النيل " كام غنماية أطلقهم فى الغيط وقت الربيع .. لما جه النيل بقيت من غير شغل . فصاحب الطين قال لي : يا عليوى ما ترحش وأنت بطال بالغنم بتوعي لغاية المنيا ، توصلهم لواحد تاجر هناك ، معرفة ولك يا عم إنى أبسطك خالص . قلت له : الطريق واعر على .قال لي: أنت واعى فى الغنم وأنا مختارك ، أنت رجالي ، الطريق اللى أنت خايف منه سهل . خليك مع الابراهيمة مبحر مبحر تلق نفسك حد المنيا . وراح الراجل اشترى لي سكين كويسة وادانى حمار ، وسلم لى ٦٥ رأس . فخرجت بهم من البلد والمية فى الحوض[٣]".

والأشخاص الرئيسية أولها بطل القصة عليوي والذي يصفه :"... فهو فتى لا يزال فى ميعة الصبا ، قد لا تلحظ العين أدلة وراثته الفرعونية من قامة مديدة ، وصدر عريض ، إلا أنها لا تخطئ نحافته

---

(١) دماء وطين ،ص:٦٨
(٢) دماء وطين ،ص:٧٥
(٣) دماء وطين ،ص:٨١

الواضحة . فليس هناك تناسب بين قدميه المفرطحين وساقيه الرفيعتين . تحت ترقوته هبوط غائر ، قد يكون من الجوع ، تقيم عليه عظمتان بارزتان ينتهي عندهما شعر صدره المكشوف . وجهه من جلد من وعضل مشدود مهما جري لا يهتز فيه لحم. وإن حرك فكه تكسر سطح صدغه فجوات وكرات ، ورغم هذا لا يفتر عن الحركة... [١]".

وبطلة القصة الغجرية والتي يصفها " فوجد فيه وجها شديد السمرة ، يكاد يكون كامل الاستدارة ، وأنفا دقيقا ، علي جبهتها نقطة خضراء. وعلي ذقنها وشم غصن. قصيرة القامة ، معتدلة الظهر، رأسها كثير اللفتات تنبئ عن عصبية قوية.... وكانت تخفي غضبها بضغطة ظاهرة علي شفتيها زادتهما طولا وضمورا ، لما جاءت تناول القداح ، فاحت منها رائحة غريبة عن أنفه... خليط من عرق وقذارة ، وعطر فيه قرنفل وشند[٢]".

وتسير الأحداث منذ أن تلقاه الغجرية في الطريق ثم تهرب معه وتعيش أياما قصيرة تحن لحياة العربدة والهروب ثم تطلب منه الذهاب معها بما معه ثم تضغط عليه بآخر موقف "صحيت من النوم لقيتها ماشية ع الجسر وجلاليبها تحت باطها.كانت ماشية بشويش، لكن فهمت طوالي إنها هاربة مني.. رحت جاري وراها ،حصلتها ومسكتها من دراعها.. [٣]" ويحاول إقناعها بالبقاء وهي ترفض وهي تعرف أنها تملكت منه " يا بنت الحلال، أنا قلتلك إن الغنم مش بتوعي ،صاحبهم في المنيا،وبينا وبينها دولقتي فركة كعب،وأنا راجع

---

(١) دماء وطين مع ثلاث قصص أخري ،ص:٨٢ ،٨٣ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.
(٢) دماء وطين ،ص: ٨٥ ،٨٦ .
(٣) دماء وطين ،ص:٩٤

وياك طوالي للبلد[١]"... ووقف الشيطان أمامه ممسكا بالميزان يبتسم له..ثم هوت كفة المرأة..ورحت صارخ فيها:هوي..هوي..أنا جي[٢]" وتبدأ النهاية حيث يخدعه الغجر ويوهموه عن طريقها أنه صار منهم"... مشيت وياهم ... بعد يومين ولا ثلاثة ، لقيت الغنم نقصت راس ... الحق دمى فار. مسكت البنت وقتلتها : اللى عاوز يفقد حياته يقرب للغنم..." قالت لي :"إحنا دى الوقت غنم مع بعض . كل حاجتنا ويا بعض[٣]." ويصبح أو يحاول أن يكون منهم ثم تأتي النهاية ".. وكان لابد أن يتذوق عليوى بعض ما يلقاه الغجر من الإهانات والمطاردة . وجاءت الليلة التي خبر فيها كيف تهجم الخيل، ويقع السوط ، ويوضع القيد فى اليدين ... ولكن صحبة الغجر جعلته يستقبل الشتم والقيد والكرباج مطمئنا ... منذ سنة شاهد ما جرى للغجر .. فكان جزعه – كمتفرج – أكثر منه اليوم وهو مضروب يسير مكبلا بالحديد للنقطة ....سنة مرت عليه لم تفنى من عمره قدر ما هدمت من أخلاقه وعاداته ... كان فلاحا يهمه النيل والعمدة والنقطة وحدود أرض يقيسها بالشبر وبالأصبع ، أما الآن فهو غجري لا يهمه سوى الذي هو فيه ... الدنيا كلها أمامه لا حدود لها ... إن استطاع أن ينال منها شيئا فليخطف ... وهو سعيد[٤]". والسجن وهو النهاية الحتمية له.

وفي قصته (أبو فودة)_الحدث القتل من جاسر لابن خاله بحيلة..

---

(١) دماء وطين ،ص:٩٤
(٢) دماء وطين ،ص:٩٥
(٣) دماء وطين ،ص :٩٧.
(٤) دماء وطين ،ص :٩٨

والسرد بالتحليل النفسي الدقيق للأحداث والشخوص والمؤثرات التي أدت لذلك...

والأشخاص: أولهم جاسر بطل القصة القاتل وهو شاب ،والقاتل بعد خروجه من السجن وهو" عامل فى محجر أو فودة ، أمل أبيه الرجل الطيب الشيخ مبارك . ولكن نزق الشباب يقوده فى معظم الليالي لمنفلوط ، يصرف وهو مخمور كل مكسبه على حميدة [١]... هو فى الحبل شرس ، شكس الطباع ، يعجب بقوته ويزهى بها على زملائه . كلما اجتمع العمال ، ولا يعدلون بطبيعتهم عن الدائرة والقرفصاء – كان هو بدون مجهود واسطتهم، وقامته تعلوهم[٢]".

والشخصية الثانية نرجس زوجه إسماعيل والتي غواها جاسر وأغوته " فهي امرأة (بحراوية) يعلم الكل أنها (نتاية) أكثر فهما لطرق الإغواء للرجل من فتيات البلد . يقولون أنها سبب فقره ، لأنه يجرى وراء ذيلها ثم يحسدونه فى الوقت عليها . فى ضميره وسواس دائم أن هذا الحسد يخفى تحته نوع من الاحتقار ، كأنهم يستكثرونها عليه . إيمانهم بأنه تحت قدمها ، هو الذي يقلل من الإشاعات التي تصل إلى أذنيه عما تفعله ، من ورائه . وهو الآن لا يستطيع الثقة بإخلاص زوجته ولا بعفافها ولكنه يعيش كما يعيش زوج كل امرأة خليعة . إذا كان يهواها : تأجيل مستمر لليقين . واستساغة دائمة للبقاء على الشك"[٣].

وماضيها قبل أن تتزوجه أيضا يصفه حقي ليبين أبعاد هذه الشخصية اللعوب والتي لا تعرف الوفاء لأحد " هي لعوب ومطلقة بسببه، ووصله عن نرجس – وكانت إحدى جيرانه- أخبار خلاعتها

---

(١) دماء وطين ،ص :١٠٤
(٢) دماء وطين: ١٠٥
(٣) دماء وطين :١٠٩

، وطمع أن يتزوج من بحراوية مثلها فهو بعد تجواله فـــى مصـــر والشام لا يقنع بامرأة من بلده فى هذا الوقت جاءه تعويض الســـلطة وأخذ يصرف الجنيه وراء الجنيه حتى استلفت نظرها. فتحايلت على زوجها إلى أن طلقها واندلقت على إسماعيل وقد بهرتهـــا ثروتـــه . تزوجته ، ولم تلبث يدها أن نفضت جيوبه فى شراء ملابس من كل صنف ولون وانتهى العمل ونفذ التعويض[١]".

ومن الشخصيات الثانوية لكنها مهمة في سير الأحداث شخصية متولي القتيل الأول لجاسر والذي دخل بسبب قتله الســـجن والـــذي عيره عند عدم قدرته رفع الحجر يصفه حقي" متولي : شاب واقـــف فى المؤخرة صغير الراس، أعنق ، أذنـــاه لاصـــقتان علـــى طرفـــي قفاه..." [٢].

والشخصية الثانية هي شخصية إسماعيل ابن خال جاسر القتيل الثاني بسبب نرجس زوجته اللعوب وعشيقة جاسر يصفه في جسديا ونفسيا فيقول:"... ووصل الخبر إلى إسماعيل ، فجاء بذراعيه يجرى إلى ابن عمته . شاب مصفر الوجه متردد متلعثم ، أربكـــه وصـــول جاسر[٣] .. ".وقد سكن يجواره جاسر فزاد مـــن متاعبـــه النفســـية والاجتماعية فهو يراعي كلام أهل القرية " فجاء إسماعيل بحزمة من البوص وسد بها الثغرة وحلوق الجيران . ليس لهم بعـــد ذلـــك مـــا يشكون منه . ولكن فى قلب إسماعيل يقينا بأنها "مصيبة ونزلت عليه ". ماذا تفعل فى جاسر حزمة البوص؟هـــو منـــذ الصـــغر يتحاشـــاه ويتهرب منه . طبيعتهما ضدان . مال جاسر إلـــى الخمـــر ، وعمـــد

---

(١) دماء وطين :١١٢
(٢) دماء وطين: ١٠٥
(٣) دماء وطين :١٠٨ .

إسماعيل إلى الأفيون وحسن كيف خشونة الأول جرته منذ صغره إلى المحجر ، وأتلف الثاني ما ترك له وهاجر من البلد[١]".

ثم تسير الأحداث بتصاعد بعد سكني جاسر بجوار نرجس وسماعه عن سمعته ووصوله إليها مرة " لكن نرجس أشعلته ، رده قربها إلى ماضيه ، وأزال عنه نقاهة السجن . وإذا به في اليوم التالي لاجتماعهما يخرج من مسكنه مع الفجر ويترك البلد عن يساره، ويجد فى سيره كأنه فى يوم من أيام شبابه .. يسرع كعادته كل صباح ليلحق المعدية[٢]" يعمل لكي يكسب ما يملأ بها عينها ويغريها ومن هنا . "تغيرت حياة جاسر[٣]"، ثم تتهرب منه بدعوي خوفها من زوجها" إسماعيل مين داللى مالى عينك ؟ قولي إنتى مش عاوزه " هل تقطع الخيط وتواجه الفضيحة ؟ لم يكن مقصدها إلا أن تطوح جاسر :-" أهو شغلك شغله فيه[٤]".وهنا ترمي إليه الفكرة ليدبر للجريمة ولن تكون الجريمة صعبة علي مثله " بعد خمس عشرة سنة فى السجن ، فهو قادر على أن يصنع المصيدة ويستهوى فريسته إليها ... ولكن مشروعه يحتاج للصبر"[٥] ويدبر الجريمة شبه كاملة لمجرم عتيق تربي بين المجرمين وتعلم بين قتلة لخمس عشرة سنة " وقفز الجمع فاندس بينهم جاسر ...تلقفهم العمال بالخبر .. إسماعيل جاء كعادته ، وطلع للجبل وهبط على الجبل ليبدأ عمله ، وفجأة – وبدون سبب واضح – رأوه يهوي ... صرخ مرة واحدة ثم لم ينطق ... رقراق من الدم يسيل من طرف الفم على خده عين

---

(١) دماء وطين :١٠٩
(٢) دماء وطين :١١٥
(٣) دماء وطين :١١٥
(٤) دماء وطين :١٢٢
(٥) دماء وطين :١٢٣

مسودة ، حاجبها مجروح ، وعين كبيرة جاحظة ..." [١] وهنا تأتي العقدة ثم يتزوج بنرجس الخائنة ويجتمع القاتل مع الخائنة وما يلبثان إلا قليلا وتأتي عدالة الله التي تأخذ لكل مظلوم حقه ...

وتأتي النهاية لهذا القاتل الخائن فيصاب فقد قاده سوء فعله "إلى إشعال لغم منفس.. ، وسكن البارود غير المحترق فى وجهه فى علامات أشبه بالجدري .. ولكن جاسر فقد عينيه ... يعيش جاسر من إحسان الناس ..." [٢] فيصير أعمي يستعطي الناس ويشحذ ليظل حيا يتعذب بقدر ما عذب وقتل وخان.

---

(١) دماء وطين :١٣٢

(٢) دماء وطين :١٣٥

الفصل الثالث

الشخصية كما أظهرها يحيي وأثر البيئة فيها

مفهوم الشخصية :

هناك تعريفات كثيرة للشخصية تصل إلي خمسين تعريفا لكن أعمها وأشملها هو التعريف القائل:

الشخصية : هي مجموع الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار ،والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف ، سواء في فهمه ،وإدراكه أم في مشاعره وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي ، ويضاف إلى ذلك القيم و الميول والرغبات والمواهب والأفكار والتصورات الشخصية .

فالشخصية إذاً لا تقتصر على المظهر الخارجي للفرد ولا على الصفات النفسية الداخلية أو التصرفات والسلوكيات المتنوعة التي يقوم بها وإنما هي نظام متكامل من هذه الأمور مجتمعة مع بعضها ويؤثر بعضها في بعض مما يعطي طابعاً محدداً للكيان المعنوي للشخص[١].

ولكن عند تناولنا لهذا الموضوع ودراستنا للشخصيات كما أخرجها لنا يحيي حقي بتأثير البيئة كما يراها لابد أن نعتمد على ما رسمه لها ولأبعادها وسلوكياتها ولمميزاتها ومساوئها، ونقيم أفعالها وفقا لرؤيته سواء أكانت نتيجة تأثير الوراثة والفطرة وهي تبدو أحيانا علي استحياء كما في بطله في قصة (من المجنون) محسن

---

(١) ينظر: تحليل الشخصيات وفن التعامل معها ، عبد الكريم الصالح، ص:٤ ،(١٤٢٧هـ).

أفندي بن عبد المطلب[١]، وكذلك في حديثه عن المرض الذي يصيب بطل (البوسطجي عباس وأنه أمر وراثي[٢] ، أو تأثير البيئة الاجتماعية والظروف وهو ما يحدث في بقية القصص حيث البطل هو ابن البيئة وأفعاله منها، ولا نستنتج من الشخصيات ما لم يرده حقي، أما مناقشته في الشخصية إن كانت مقنعة أم لا فهذا حكم نقدي منفصل يحول بيننا وبينه السنون التي بيننا وبينه فهو يصف فترة العشرينيات والثلاثينيات وهو يشهد بما عاين ويمكن أن نقدم حكما حول قناعتنا بهذه الشخصيات بعد دراستها أو تحليلها كحكم ثانوي علي إطار البحث.

لكن أولا لابد من تأصيل علمي حول كيفية دراسة الشخصية عند كاتب الأدب عامة وكاتب القصة أو الرواية بصفة خاصة ، ونطبق ذلك علي كاتبنا يحيي حقي في مجموعته (دماء وطين) قيد الدراسة ونمثل بمثال لذلك أو اثنين نؤكد به ما نقول، فدراسة الشخصية هذا أمر بدأ مبكرا فقد نشأ منذ أواخر القرن التاسع عشر في علم النفس علم خاص يسمى علم الشخصية يدرس فيه الإنسان بطريقة علمية تجريبية ، مركزا في الوقت نفسه على الفروق الفردية وعلى تشابهه مع غيره من الأفراد، ولما كانت هناك جوانب متعددة للشخصية، منها ما هو فطري أو غريزي، ومنها ما يكتسب من البيئة والثقافة، وكذلك أنواع مختلفة من السلوك، فقد اختلف الباحثون في الشخصية في تغليبهم جانبا على جانب، أو في تركيزهم على عنصر دون آخر، فبعضهم يؤكد في نظرياته على الغرائز والقوى الفطرية التي تحدد

---

(١) دماء وطين ،ص: ١٦٥ .
(٢) دماء وطين ،ص: ٢٩.

سلوك الفرد وتجعله حتميا، فيما يؤكد غيرهم على الجوانب الاجتماعية والتربية في تفسير سلوك الفرد وإمكانية تعديله[١].

وقد انعكس هذا الاختلاف في تحديد سلوك الشخصية والمؤثر فيه على كتاب القصة أو الرواية فبعضهم يركز على البعد الجسمي حيث تحدد استعدادات الإنسان الجسمية والفطرية مسيرة حياته، و بعضهم يعتقد أن البعد النفسي هو الأهم حيث أن سلوك الفرد تحدده عوامل نفسية معقدة قد لا يفهمها ولا يعرفها الفرد نفسه. وهؤلاء يركزون على الدوافع واللاشعور. وآخرون يركزون على البعد الاجتماعي والبيئة والتربية مؤكدين أن الإنسان نتاج مجتمعه، حيث يوجهون أصابع الاتهام في السلوكيات السيئة التي يقوم بها الأفراد إلى المجتمع ، فهو في رأيهم ، المسئول الأول والأخير عن فساد الأفراد ، وهذا ما ينطبق علي كاتبنا يحي حقي في مجموعة الدراسة هذه .

فحين تخيل حقي شخصيات قصصه بدأ بفتح ملف لكل شخصية يصفها فيه وصفا دقيقا وكأنها شخصية حقيقية، ويضع لها سيرة وتاريخا ونسبا ولا يفوته شيء من الوصفين الخارجي والداخلي بما في ذلك البيئة التي عاش فيها هذا الإنسان،... وحين يصبح للشخصية تاريخ ووجود يختار منه الكاتب ما هو ضروري للقارئ لمتابعة أحداث الرواية ويهمل الباقي ، ففي قصة (البوسطجي) يضع عنوان الفصل الثاني منها (عباس ..أصله وفصله) [٢] ويبدأ بفتح ملف لعباس (البوسطجي) بطل القصة ، وهكذا لكل بطل أساسي في قصصه وأحيانا الأبطال الثانويين .

---

(١) ينظر كتاب : الشخصية ، عبد الله خمّار ، ط. دار الكتاب العربي بالجزائر ، (الطبعة الأولى)١٩٩٩م (بتصرف) .
(٢) دماء وطين ، ص:٢٧.

ويهتم حقي بإبراز بعض ميزات أو عيوب الشخصية وأبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية ذات العلاقة بالقصة، وهذه أهم العناصر التي يكون الكاتب منها شخصيته:

أ- البعد الجسمي: وهو شكل الإنسان وطوله أو قصره، وحسنه ووسامته أو دمامته، واستدارة وجهه أو استطالته وبروز أنفه أو صغره وطول عنقه أو قصره، وبدانته أو نحافته، ولون بشرته وعينيه وشعره وأسنانه، ونظافته أو قذارته، ورائحته الطيبة أو الكريهة، ونعومة بشرته أو خشونتها، وعذوبة صوته أو قبحه ونوع ثيابه وجدتها أو رثاثتها وبين هذا أو ذاك يكون أواسط الناس أجساما وذلك مثل وصفه للغجرية بطلة قصة (قصة في سجن) يقول" فوجد فيه وجها شديد السمرة ، يكاد يكون كامل الاستدارة ، وأنفا دقيقا ، علي جبهتها نقطة خضراء. وعلي ذقنها وشم غصن. قصيرة القامة ، معتدلة الظهر، رأسها كثير اللفتات تنبئ عن عصبية قوية.... وكانت تخفي غضبها بضغطة ظاهرة علي شفتيها زادتهما طولا وضمورا ، لما جاءت تناول القداح ، فاحت منها رائحة غريبة عن أنفه... خليط من عرق وقذارة ، وعطر فيه قرنفل وشند[١]".

ب- البعدان النفسي والاجتماعي: ويعني علماء النفس بالبعد النفسي الجانبين العقلي والانفعالي الوجداني، وبالجانب الاجتماعي التربية والبيئة، ولكن هذه الأبعاد متداخلة فيما بينها يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر، والثياب تعبر عن ذوق صاحبها وبيئته ومستواه الاجتماعي في الوقت نفسه.

ويعتمد أي كاتب في وصف هذين البعدين النفسي والاجتماعي على إبراز مقومات هي :

---

(١) دماء وطين ،ص: ٨٥ ،٨٦ .

١- البيئة الطبيعية والاجتماعية: فهي تؤثر في طباع الفرد وسلوكه وأخلاقه فالبيئة الصحراوية تختلف عن الجبلية، وبيئة المدن غير بيئة الريف، وبيئة الأسرة المتمسكة بالقيم تتميز عن بيئة الأسرة المنحلة وهكذا.

٢- الذكاء: هو المظهر العقلي للإنسان، وهو فطري وراثي ولكن له أثرا كبيرا في نجاح الإنسان.

٣- الثقافة: نتاج رقي المجتمع وعصارة حضارته، وخلاصة مثله وقيمه ومحك تقدمه وتخلفه، وحظ الناس منها يختلف من شخص إلى آخر، فهناك المفكر والمثقف والمتعلم ونصف المتعلم والأمي والجاهل.

٤- المستوى الاجتماعي: من الفقر والغنى وموقع الشخصية في السلم الاجتماعي والوظيفي والطبقي.

٥- الجانب الانفعالي الوجداني: هو الجانب الثاني من المظهر النفسي. (الجانب الأول هو الذكاء) وهو أعقد الجوانب وأكثرها غموضا في شخصية الإنسان إذ يشمل سماته الوراثية الأخرى غير العقلية كخفة الروح أو الظل والمزاج والطباع وما يصدر عنها من عواطف وانفعالات ودوافع.

وهذان البعدان النفسي والاجتماعي برع فيهما يحيي حقي براعة تتعدي الوصف في هذه المجموعة بالذات ولتعرف البراعة في توصيف هذين البعدين في الشخصيات يمكن مراجعة أبطال قصة (قهوة ديمتري) وفيها اختلاف الأبعاد الاجتماعية والنفسية للرواد الذين جمعهم يحيي حقي في مكان واحد[١] ...

---

(١) دماء وطين ،ص: ١٥٤ ،١٥٥ ،١٥٦.

وهناك ما يمكن أن نسميه قواعد يستعملها الأدباء في وصف الشخصية القصصية أو الروائية وقد برع فيها يحيي حقي وأجاد تطبيقها ملخص بعضا ما يأتي[١]:

١- التركيز على ما يميز الشخصية عن غيرها، وإبراز ما يشد الانتباه إليها في المظهر الجسمي سواء أكان مزية (طول الجسم، حسن الوجه، سعة العينين... إلخ) أو علامة فارقة (شامة على الخد، طول الشعر، حركة مميزة عند المشي... إلخ).فيحيي حقي كان يصف السمات الجسدية لأبطاله بدقة خذ مثلا حديثه عن عليوي بطل قصته (قصة في السجن) يقول عنه:"... فهو فتى لا يزال فى ميعة الصبا ، قد لا تلحظ العين أدلة وراثته الفرعونية من قامة مديدة ، وصدر عريض ، إلا أنها لا تخطئ نحافته الواضحة . فليس هناك تناسب بين قدميه المفرطحين وساقيه الرفيعتين . تحت ترقوته هبوط غائر ، قد يكون من الجوع ، تقيم عليه عظمتان بارزتان ينتهى عندهما شعر صدره المكشوف . وجهه من جلد من وعضل مشدود مهما جري لا يهتز فيه لحم. وإن حرك فكه تكسر سطح صدغه فجوات وكرات ، ورغم هذا لا يفتر عن الحركة[٢]...".

٢- التركيز على ما يميز الشخصية عن غيرها من مزايا أو عيوب نفسية أو خلقية (الذكاء، الشجاعة، الكرم، القناعة أو الغباء، الجبن، البخل، الجشع والطمع، الاتزان والهدوء أو العصبية والانفعال)، ويجب أن تكون هذه الصفات منسجمة مع موضوع الرواية.وقد أجاد يحيي حقي في ذلك خذ مثلا وصفه لإسماعيل ابن

---

(١) ينظر كتاب : الشخصية ، عبد الله خمّار ، ط. دار الكتاب العربي بالجزائر ، (الطبعة الأولى) ديسمبر ١٩٩٩م (بتصرف) .

(٢) دماء وطين مع ثلاث قصص أخري ،ص:٨٢ ،٨٣ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

خال جاسر بطل قصته (أبو فودة) يصفه في موقفه النفسي فيقول:"... ووصل الخبر إلى إسماعيل ، فجاء بذراعيه يجرى إلى ابن عمته . شاب مصفر الوجه متردد متلعثم ، أربكه وصول جاسر[١]..".

٣- المنهجية في وصف الجسم والانطلاق من العام إلى الخاص أو من الخاص إلى العام. (أن يبدأ بالمظهر العام للشخصية كطول القامة أو اعتدالها ثم ينتقل إلى وصف الأجزاء فيبدأ بالوجه ثم ينتقل إلى العينين فالأنف فالفم...إلخ وقد يبدأ بالأجزاء فيصف العينين وينتقل إلى الأنف فالفم فالوجه فالقامة).

٤- استعمال بعض عناصر الوصف الخارجية المناسبة لوصف الجسم: الأشكال والألوان والأضواء والظلال، الأصوات، الروائح، الطعوم ، الملموسات.

٥- المزج بين الوصفين الخارجي والداخلي للشخصية فهما كل لا يتجزأ.

٦- وصف الشخصية أثناء الحركة والانفعال ليكون الوصف حيويا.

٧- الوصف التدريجي للشخصية وتقديمها على مراحل وربط الوصف بالأحداث دفعا لملل القارئ.

٨- استعمال ما يناسب الرواية من أساليب الوصف الداخلي وهي:

أ- الوصف المباشر الذي يقوم به الكاتب نفسه.

---

(١) دماء وطين :١٠٨ .

ب- الوصف بالمقارنة لإظهار التناقض بين شكلين أو طبعين أو خلقين.

جـ- الوصف بالحوار أو الرأي، حيث نكشف صفات الشخصية ومميزاتها من خلال حوارها مع الآخرين ومما تبديه من آراء.

د- الوصف بالفعل ونكتشف صفات الشخصية من خلال أفعالها وسلوكها وعلاقاتها الإنسانية بالآخرين.

هـ- الوصف من خلال مناجاة النفس: ونكشف بعض صفات الشخصية من خلال حديثها مع نفسها.

و- اليوميات، وتفصح الشخصيات عن نفسها من خلال اليوميات التي تكتبها.

ز- الرسائل، ونكشف بعض صفات الشخصية من خلال الرسائل التي تكتبها.

٩- استعادة الذكريات: تتذكر الشخصية الأحداث الماضية ويكشف لنا ذلك عن بعض صفاتها.

ويلجأ الكاتب إلى هذه الأساليب لوصف شخصياته أثناء الحوار والفعل والانفعال والحركة ليتجنب الوصف المباشر الممل.وهذا يستعمله كثيرا حقي وخذ مثلا تذكر جاسر البطل في قصته أبو فودة بعد خروجه من السجن في قضية مقتل متولي :" "...لم يطل الصمت، قطعه صوت من بين شفتين كله احتقار واستهزاء ، عدل بالأنظار جميعها عن جاسر إلى متولي شاب واقف فى المؤخرة صغير الرأس ، أعنق ، أذناه لاصقتان على طرفي قفاه ...وأردف:-"إذا كانت حميدة هي اللي أخذت قوتك ، أحسن تسيب الحجر لراجل ...دا تقيل عليك .." أظهر التحقيق أن للقتيل علاقة بحميدة ، ولكن لم يثبت إن

كان جاسر على علم بها . واختلف الشهود لا يدرون هل كان القادوم فى يد جاسر ،أم خطفه من أحد الواقفين؟ أخذ متولي الضربة وارتمى على الأرض ، له حشرجة سريعة متكررة يوقفها حينا بعد آخر ؛صوت حلق يابس يشرب ماء متدفقا، هو سيل الدم ينزف عل ستر من مخه إلى جوفه .ولكن وحشية هذه الحادثة لم تقو على خمس عشرة سنة تفل أصلب الذكريات[١] .... "٠

وكما ذكرنا قد برع يحيي حقي في هذا براعة جعلته بحق من رواد هذا الفن الكبير ومن أعلامه ، فقد رسم الشخصيات في قصصه رسما دقيقا ،واستطاع أن يحيط بكل أبعادهم الخارجية والداخلية من حيث : البعد الجسمي ، البعدان النفسي والاجتماعي واللذان فصلهما في وصفه للبيئة الطبيعية والاجتماعية وحديثه عن الذكاء عند أبطاله ومستوى ثقافتهم ومستواهم ووسطهم الاجتماعي والوظيفي والطبقي الذي يعيشون فيه، وتفصيله للجانب الانفعالي الوجداني.

تمكن من ذلك وبرع فيه حتى عايش القارئ معه في كل ما يعيشه وأشعره بما يشعر به حتى شاركه جميع انفعالاته .

مفهوم البيئة وأثرها :ـ

والبيئة بالمعنى العام عبارة عن مجموعة الظروف والمؤثرات الداخلية والخارجية ، فالبيئة المحيطة بأي كائن من إنسان أو حيوان أو نبات تشمل الظروف السلبية وتشمل الآثار الطبيعية والكيماوية والصحراوية والبحرية والجوية والنباتية والاجتماعية[٢]. وهي ــ أي الظروف والمؤثرات ــ مترابطة بعضها

---

(١) دماء وطين :١٠٥، ١٠٦ .

(٢) ينظر كتاب: إنّهم يقتلون البيئة ، الدكتور ممدوح حامد عطيّة، ص١٧: ١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٩٧م وقد عدّد عدّة تعريفات التي تناولت مفهوم البيئة منها:=

بالبعض الآخر، وهي متفاعلة بعضها فـــي بعض الآخر تأثيراً وتأثّراً، بمعنى أنه إذا حدث تغيّر في أحد منها فسيتبعه تغيير فـــي بعــض

=**أولاً:** مجموعة العوامل البيولوجيّة والكيماويـــة والطبيعيّـــة والجغرافيّة والمناخية المحيطة بالإنسان والمحيطة بالمساحة التـــي يقطنها والتي تحدّد نشاط الإنسان واتّجاهاته وتؤثّر في سلوكه ونظام حياته.

ثانياً: المجال الذي يحيط بالبشر بما يكفل لهم الحيـــاة وطيـــب العيش، بما يحويه من الموارد المائيّة والثروات المعدنيّة والبتروليّة وموادّ البناء والمصايد والشواطئ والذي يكون في جملته للأفـــراد مسرح حياتهم أو الوطـــن الذي يضمّهم.

ثالثاً: الأرض بما فيها من مختلف الأبعاد، والتي قدّر لها أن يعيش فيها مع غيره من كائنات ودواب وجماد.

رابعاً: الإطار الذي يحيا فيه الإنسان مع غيره مـــن الكائنـــات الحيّة بما يضمه من مكوّنـــات فيزيائيـــة وكيماويـــة وبيولوجيـــة واجتماعيّة وثقافيّة واقتصاديّة وسياسيّة ويحصل منها على مقومات حياته.

خامساً: الإطار الذي يمارس فيه الإنسان حياته وكافّة أنشطته المختلفة، فهي الأرض التي نعيش عليها والهواء الذي نتنفّسه والماء الذي هو أصل كلّ شيء حي بالإضافة لكلّ مـــا يحـــيط بنـــا مـــن موجودات سواء كانت كائنات حيّة أو جماداً.

سادساً: إنّه مجموعة من النظم الطبيعيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى والتي يســـتمدّون منهـــا زادهم ويؤدّون فيها نشاطهم. وقد ذكرت هذا التعريـــف الـــدكتورة بدرية عبد الله العويض في كتاب: القوانين البيئيّـــة فـــي مجلـــس التعاون الخليجي. ص ٢٢.(١٩٩٨م)

سابعاً :إنّه مجموع العلاقات الودّية أو العدائية التـــي تـــربط الحيوان أو النبات ببيئته غير العضويّة أو العضويّة بما فـــي ذلـــك سائر الكائنات الحيّة. وهذا ما تعرّيف (إرنست هاكيل) للبيئة كمـــا جاء في كتاب :عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة. للمؤلّف: جـــان ماري بليت ص٢٣. (المجلس الوطني للثقافة و الفنـــون و الآداب بدولة الكويت)٠

النظم الأُخرى على شكل سلسلة تفاعلات بحسب القوانين والعلاقات التي جعلها الله سبحانه وتعالى في الكون، فإذا أصبح الهواء بارداً فوق الحد الطبيعي ازدادت الأمراض وظهر ذلك في سلوك الأفراد، وإذا كثرت الأشجار واتسعت مساحات المياه انخفضت درجة الحرارة ، ظهر ذلك في البيئة وفي سلوك الأفراد أيضا.

فالمؤثرات الداخلية تعني: تأثير الدم الموروث (الجينات) في أعضاء الأسرة كابراً عن كابر، في أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، فإنّ الولد يخرج من رَحِمِ أُمه وهو يحمل في ثناياه خصوصيات الوراثة المطبوعة في كل خلية من خلايا جسمه التي تتجاوز قدرة الإحصاء، وتسمى الجُسَيْمات الصغيرة التي تحمل الصفات الوراثية (الجينات) وهي التي تحدد صفاته الجسمية مثل العين ولون الجسم والطول وفصيلة الدم ونسبة الذكاء، وكذلك استعداده للإصابة بمختلف الأمراض والعوارض المتعلقة بالنفس كالانفصام في الشخصية، وكذلك الصراع النفسي والعقلي والتبلُّد الذهني كما ويشمل سائر الأمور المرتبطة بالخلقة.

وذلك ما أيّده علم السلالات.وقد نطق بذلك شعراء العرب، فقال الشاعر الحماسي ربيعة بن مقروم الضّبّي[١]، وهو شاعر مضري مخضرم:

هجان الحيّ كالذّهب المصفّى ∴ صبيحة ديمة يجنيه جان

---

(١) هو: ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.شاعر إسلامي مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن أصفق عليه كسرى، ثم عاش في الإسلام زماناً ، وشهد بعض الفتوح وحضر وقعة القادسية.

وقال الحطيئة[١]:

مطـاعين في الهيجاء،مكاشـيف للـدّجى ∴ بنـى لهـم آبـاؤهم وبنـى الجـدّ

فالوراثة يمكن تقسيمها إلى شكلين:-

الأول: وراثة بيولوجية ، وهي التي يرثها عن أسلافه في شكل (كرموسومات). والثاني: يمكن أن نسميه الوراثة الاجتماعية، التي يعني كل ما يحصل عليه الفرد من الأجيال السابقة ، بصورة أعراف وتقاليد وعادات ومهارات..

وهذا أمر قرره الإسلام وبين تأثير الوراثة الداخلية إذا تناسبت معها العوامل الخارجية فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[٢] ،وقال: "من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه"[٣].

فالبيئات، والسلالات لها أثر قوي في تكوين الشخصية، ولكنها وحدها لا تؤثر الأثر الكامل بل لابد من وجود الرغبة الشخصية للمرء في تكوين شخصيته لاسيما الشخصية الخيرة ، ولابد من رغبة الإنسان نفسه في الصعود على أوج الكمال من العلم، والأدب، والديانة، والتقوى.

---

(١) أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .ولد في بني عبس دعِيًّا لا يُعرفُ له نسب فشبّ محروما مظلوما، لا يجد مددا من أهله ولا سندا من قومه فاضطر إلى قرض الشعر يجلب به القوت، ويدفع به العدوان، وينقم به لنفسه من بيئةٍ ظلمته، ولقب بالحطيئة لقصره وقربه من الأرض.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ج:٢، ص:٥٣٩.

(٣) الجامع الصحيح لمسلم: كتاب الذكر والدعاء، والتوبة.

فالبيئة الاجتماعية هي ممـــا تشكل شخصية الإنسان، فإذا كانت هذه البيئة بيئة إيمانية ينشأ الطفل علـــى الإيمان، وإذا كانـــت بيئـــة منحرفة ينشأ الطفل نشأة منحرفة ؛ فالريح تنقـــل الـــروائح العطـــرة عندما تمرّ علـــى غابة زهور، وهي تنقل أيضاً الروائح النتنة عندما تمر على المزبلة.

والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية لها تأثير كبير فـــي البعـــد التربوي للأطفال، وقـــد تؤدي إلى تخلّف عقلـــي وانحـــراف نفســـي يصيب الأطفال وهم لا ذنب لهم إلاّ أنهم ولدوا في أســـرةٍ متهاويـــة ومنحرفة أخلاقياً وعقيديّاً.

وللبيئة الثقافية تأثيرٌ في تنشئة الولد، ونقصـــد بالبيئة الثقافية المعرفـــة والعقائد والعلـــم والقانون والأخلاق والعُرف والعادة ومـــا أشبه ذلك. بل ذكر جماعة من العلماء أن التفوّق العلمي والفكري هما من نتائج البيئة الثقافية.

وللبيئة الطبيعية أثر كبير على حياة الإنسان، فمن كان يعيش بعيداً عن الشمس في طرف الشمال أو الجنوب – مثـــلاً– حيث يبرد الهواء هناك ليصل إلـــى ما يقارب الثلاثين تحت الصـــفر أو أكثـــر، نلاحظ أثر ذلك في أمزجتهم الباردة وأخلاقهم عادة ، ونوعاً ما فـــي أبدانهم. فعظمت أبدانهم وابيضت ألوانهم وانسدلت شـــعورهم. أمـــا مَـــن كان قريباً من خط معدّل النهـــار ومـــن خـــط الاســـتواء فـــإن أمزجتهـــم تصبح حارة وبشرتهم مائلة إلى السواد، لكثرة تعرضـــهم لأشعة الشمس وربّما تغلظ شعورهم و مشاعرهم ليغلب عليها حـــدَّة الطبع في الجملة، وهناك أمثلة كثيرة على أثر البيئة الطبيعية علـــى البشرية.

والحاصل أن البيئة الاجتماعية والثقافية مؤثرتان في كل شيء من الإنسان، كما أن البيئة الطبيعية والمناخية لها تأثيرها الكبير في شخصية الإنسان وطبيعته التكوينية، فتسهم الطبيعة ويسهم المنـــاخ بدور كبير في قدرات الإنسان على الحركة والعمل.

إذن فالإنسان يلد صفحة بيضاء فيها عوامل خفية لا تتحرك إلا إذا وجدت المحرك فلا يلد بمخزون معرفي مثلا خلقه الله معه ليستعين بها على ضبط وتوجيه نشاطه فلا يمكن أن يكون ذلك!! لماذا؟ لأنه لو كان هذا صحيحًا، لأصبح الإنسان مسيرًا، يلتزم بما خلقه الله فيه، فلا يحيد عنه، الأمر الذي يعفيه من المسؤوليّة، فيقترف الآثـــام دون أن يكون له ذنب فيما اقترف. أضف إلى ذلك أنه لو كانت هذه الصـــورة الفكرية من خلق الله، لكان في ذلك ظلم – وحاشا الله أن يظلـــم – ؛ لأنه يترتب على ذلك أن تخلق صور سيئة عند إنسان، وأخرى حسنة عند آخر؛ فلا يكون للمحسن فضل في إحسانه، كمـــا أنـــه لا يكـــون للمسيء ذنب في إساءته، .. إذن ... فمن المســـتحيل أن يخلـــق الله صورًا فكريةً مع خلق العقل لضبط وتوجيه نشاط الإنسان.

ويترتب علي ذلك سؤال هل يستطيع العقل أن يكون هذه الصور من لا شيء؟

والإجابة المنطقية والعقلية لا يستطيع إذ يستحيل على مخلـــوق أن يكون شيئًا من لا شيء ؛ لأن الله وحده هو القادر على الخلق من العدم .

فإذا استحال خلق الصور الفكرية مع خلق العقل، واســـتبعدت قدرة العقل على تكوين هذه الصور من لا شيء، فما مصـــدر هـــذه الصور الفكرية؟.

استبعدنا أن يملك العقل مخزونًا من هذه الصور – تكون قد خلقت معه – يستمد منها ما يريده ليضبط سلوك الإنسان ويقوم أخلاقه، وكان سبب الاستبعاد أنه يترتب عليه إلقاء إرادة الإنسان وإعفاءه من المسؤولية ؛ لأنه لا يعمل – لو كان هذا صحيحًا – إلا طبقًا لما يملى عليه، كما استبعدنا أيضًا أن يكون عنده من القدرة ما يمكنه من تكوين هذه الصُّوَر من لاشيء ؛ لأن الله وحده هو القادر على الخلق من عدم. فإذا كان هذان الاحتمالان غير ممكنين، فمن أين يستمد العقل هذه الصُّوَر الفكرية التي تصدر عنه[١]؟

يستمدها من البيئة ؛ فالإنسان يولد صفحةً بيضاء لم يُرسم فيها خط، ولم تسطر فيها كلمة، ثم تبدأ الخطوط تتوالى عليه مما حوله، وتسطر المعلومات من الأحداث التي تجرى أمامه ؛ فتنقلها حواسه إلى داخل جهاز الرصد الذي خلقه الله فيه.

وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة حيث قال تعالي (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا).

ومن أولى المصادر التي تمده بما يحتاج إليه في هذا المجال: أبواه، فهما أول من تقع عليه حواسه المستقبلة فتتلقف قواه الذهنية كل ما يصل إليها وتعيه، وتحتفظ به لتخرجه فيما بعد في صور سلوك وألفاظ تنبئ عن طبيعة ما تلقاه، فإن كان طيبًا كان سلوكه طيبًا، وأخلاقه حسنةً، وألفاظه مهذبةً، وتعامله مع الآخرين راقيًا، وقد عبر الرسول ﷺ عن التفاعل بين الوالدين والأبناء بقوله: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه[٢]".

---

(١) الطاقة الإنسانية: أحمد حسين ص ٤٣١-٤٣٢ (بتصرف) ، ط. دار القلم ،القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) البخاري :١٢٩٢، ومسلم :٢٦٥٨ .

رسم يحيي حقي للبيئة الصعيدية:

وقد جعل يحيي حقي في هذه المجموعة البيئة الصعيدية هي الأساس في تكوين المجرم!، وهي الأصل في عمل الجريمة ، بل جعل منها بيئة تغير النفوس الصحيحة الصافية إلي نفوس خربة عكرة مجرمة حيوانية، وصرح بذلك بدون مواربة بل ويحمل البيئة الصعيدية جرم من يجرم فيها من أبنائها بل وجرم من يجرم فيها من غير أبنائها وهذا هو العجب يقول وهو يبرر لجريمة عباس بطل قصته (البوسطجي): " ليس عباس أول شاب يأتي من القاهرة ، ليرتكب أول جرمه فى الصعيد .كثيرون غيره جاءوا أصحاء النفوس، على وجوههم جمال الرضا والاتزان ، فى حركاتهم وملابسهم تأنق ، فأصبحوا بعد زمن غلاظ الوجوه ، سمان البطون ،ثقيلة حركاتهم ، نظراتهم حيوانية ، وكلامهم بذاءة متكررة ،وفكاهتهم منحطة، أفكارهم سخيف محصورة ، ضيقة. حين يعودون لمدنهم ينكرهم أصدقاؤهم وتختلف أذواقهم حتى كأنهم شعبان مختلفان.

الصعيد هو المسئول عن تلفهم .. فهم طيبو القلوب ،ولكنهم من ضيق التربية بحيث لا يستطيعون السمو عن المحيط المنافر لهم ، أو إخضاع ظروفه لمنفعتهم ، واستخلاص ما فيه ، والإعراض عن شره. فهم لا ينتقمون من جو الصعيد المقبض ووحدته القائلة إلا فى أنفسهم.يسهلون لها المنزلق،ويتردون فى عناد وتكبر إلى الهاوية ... ليست سقطة عباس إلا مثلا آخر على ضحايا الصعيد[١]..".

بل جعل شمسهم كشمس القيامة وليست هي شمس بقية مصر بل هي شمس الصعيد المتوقدة وهذا تعبير بالغ عن هذه الشمس التي

---

(١) دماء وطين مع ثلاث قصص أخري ،ص:٣٦ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

تشبه النار يقول عن بطل قصته (قصة في سجن):".. وهو يبدو تحت تأثير شمس الصعيد المتوقدة فى منظر كريه تظلله سحابة من التراب المنعقد.. [١]".

فالزراعة والتي هي عمل أهل الصعيد ومصدر رزقهم وهي المهنة التي يعرفونها والصناعة التي يجيدونها ورثوها كابرا عن كابر منذ أن كانت الصناعة المنظمة لأهل الأرض هي في نظر حقي ذلة واستعباد ومعلوم أن الإنسان يأخذ من عمله وينطبع عليه يقول:"... بقية السكان الذين غمرتهم الزراعة فى ذلها واستعبادها...[٢]".

البيئة المادية (المكانية والاجتماعية):

يرسم حقي صورة البيئة بأنها صورة الفقر المدقع، والحر الشديد،والأرض التي تغرق بالمياه فتصيبهم بالبطالة المفسدة للحياة والأخلاق يقول:" الصعايدة قوم جاءوا:قوم جاءوا من بلاد نائية ، حرها شديد ، وزرعها قليل ،تغمر مياه النيل أراضيهم – الحياض– كل عام ، فيبطل العمل ، ويحلو الاجتماع والسمر على جسور النيل .ثم تتخطفهم الهجرة إلى القاهرة والإسكندرية وغيرهما من مدن مصر،فيترك الأب أبناءه وزوجه،والابن أمه وأباه، والعاشق حبيبته، طلبا للقمة العيش ... حياة محفوفة بالشقاء والترحال والفراق"[٣].

ويقول في قصة (البوسطجي) وهو يصف عباس أفندي عندما رآه حسني أفندي معاون المباحث :

---

(١) دماء وطين :٨٣.
(٢) دماء وطين :٤٧ .
(٣) دماء وطين مع ثلاث قصص أخري ،ص:٦ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

"...إحساسه بالشفقة نحو هذا الوجه المدفون فى غرفة مظلمة رطبة فى بلد حقير؟[١]" وهذا الوصف يمكن أن يقصد به المادية بمعني قذارة البلد واتساخها أو يقصد به الوصف المعنوي بمعني سوء أخلاق أهله ..

ويعقد مقارنة بين الصعيد وبين القاهرة ليحقر من شأن البيئة الصعيدية ويبين وجوه فسادها علي لسان عباس بطل قصته (البوسطجي) يقول:".. من ساعة ما حطيت رجلى فى البلد ما طقتهاش ،حسيت إنى محبوس ...فين مصر وشوارعها ، وناسها ، وفين الليل مليان نور ،ونسوان رايحة وجاية ، وحركة ...لكن هنا ، أهو الشباك قدامك ... بص ... تلاقى إيه ؟ شوية طين مكوم ، وناس وسخين مقملين ، وتو ما يدن المغرب كل واحد يتلم فى بيته .. والعتمة ؟ ياباى طول الليل من حمير تنهق وكلاب تعوى ... أول امبارح جاموسة الجيران ماتت .. قبل ما يلحقوها بالسكين فضلوا يصوتوا عليها ، وهات يا لطم ...جنازة حق وحقيق . منمتش للفجر..[٢]" وهذه الصورة فيها كثير من الافتئات علي البيئة الصعيدية والصعايدة وهذه البيئة الهادئة هي ملاذ المبدعين وطلبة أهل العلم والمفكرين.

ويصر علي عقد هذه المقارنة بين بيئة القاهرة وبيئة الريف والتي لا يري لها ميزة حتى في نفوس أبنائها الذين ينسونها ويدمنون بيئة القاهرة لأن بيئتهم خشنة قذرة وعكسها تماما بيئة القاهرة لذا يبرر لحسنين إبراهيم البطل في قصته(حياة لص) مكوثه في القاهرة مع أنه كان متسكعا عاطلا" أن السبب الحقيقي هو أنه سقط تحت تأثير المدينة . وقد استهوته بأنوارها ورفاهيتها . ومن لا

---

(١) دماء وطين : ٢٠ .
(٢) دماء وطين : ٢٩ .

يلتمس له العذر . وقد انتقل من أبسط وسط وأخشنه إلى مدينة يعتبر مجرد الوجود بها والسير فى طرقاتها لذة وتنعما . والمدينة للقروي كالخمر للشارب تسحره وتأسره فينقلب عبدا ذليلا لها ويضع تحت قدميها حياته الوديعة الهادئة ليستبدل بها حياة محمومة مضطربة ولكن تنتابها بين حين وآخر نوبات سرور !" [١].

ويؤكد علي قذارة البيئة وأنها تقتل النفس وتخنق الروح على لسان أحد أبطال قصته البوسطجي وهو المعاون حسني الذين يدعم كلام عباس أفندي مع زيادة الألم النفسي بتصوير أشكال البيوت بقبائل متوحشة وشعر همجي ليضع الانقباض والرهبة والخوف التوحش الذي تلقيه هذه البيوت في نفوس المشاهدين يقول:"... لم يكن حسني أقل ضيقا بالصعيد من محدثه ، كل شفاعاته أن ينقل إلى بحري . أطل من الشباك على بيوت واطئة متراصة . الفقير منها بالجالوص[٢] والغنى مبرقش بفتات التبن فى طوبه التي كلها أقزام متزاحمة متلاصقة كأنها قبيلة متوحشة ، على رؤوسها شعر الهمج ، فى تلول هشة من حطب القطن وبوص الذرة ، وصلت إلى أذنه صرخات متعالية ، بعضها للإنسان وبعضها للحيوان ، لا فرق بينها .. حدة الصاروخ فيها واحدة.. [٣]".

ودائما يعقد مقارنة يفتعلها من الأحداث بين بيئة القاهرة وبيئة الصعيد؛ ليبرر للبطل جريمته فهي ليست جريمته!، بل هي جريمة البيئة الصعيدية ،التي يعيش فيها!، هذه البيئة تدع من يعيش فيها بين خيارين أحلاهما مر !،إما أن يرتكب جريمة ويصير مجرما أو أنه يموت متعفنا في هذه البيئة!، يقول مبررا جريمة عباس بطل

---

(١) دماء وطين :١٤١
(٢) قطعة من الطين الجاف تبني بها بيوت الفلاحين
(٣) دماء وطين : ٣٠ .

قصته(البوسطجي):"... إن جريمته ليست إلا ختاما فجيعا لاصطدام عباس ، ربيب قهاوى القاهرة وشوارعها ، بالصعيد وطينه وفلاحيه ، طبيعته قبل أن تفسد تكسرت، فهو أحسن حظا من بقية الضحايا الذين يموتون على مهل عفنا[١]".

ويصر علي وصف أهل الصعيد الفلاحين بالاتساخ وعدم التنظف ونتن الرائحة الذي هو سمت عام منهم وأمر غير مستغرب وكلهم كذلك يقول وهو يتحدث عن الشاويش الذي يضرب في المتهم ويجعل علة ضربة ليست الرائحة المنتنة فهي عادية وطبيعة للفلاحين!! في قصته (قصة في سجن): أزال الواجب المتكرر شعور الشاويش وهو يزج بالمقبوض عليهم إلى غرفة السجن ولكنه مع هذا الرجل متضجر ، ملتوي الفم قاسى القبضة يتلذذ بشتمه وضربه بالكف على قفاه.. لا لأن عينيه تقع على ساقين غشاهما القشف، أو لأن أنفه زكمه رائحة كريهة تنبعث من جلباب أزرق قذر ، مرقع فى نواح عديدة بألوان داكنة – فهذه أشياء اعتادها من الفلاحين الذين يمرون عليه... [٢]".

وهذا الاتساخ وتلطخ الثياب هو سمت لهم يعرفون به وسيظل عادة ماداموا في هذه البيئة:" فعلموا أنه قروي نشأ بالريف وتربى وسط حقوله ولولا القدر لكان يرتدى اليوم بدل معطفه الخشن الأصفر جلباب الفلاح الأزرق الملطخ الحائل اللون .ولكان يقضى طول يومه محنى الظهر فوق فأسه بدل أن يظل الآن منتصب القامة معتمدا على نبوته الكبير[٣]".

---

(١) دماء وطين : ٣٧ .
(٢) دماء وطين :٧٩ .
(٣) دماء وطين :١٤٠

البيئة المعنوية النفسية:

ويصور التأثير النفسي المر لهذه الحياة الصعبة والتي تجلب الهجرة لطلب الرزق وترك الأهل والسفر من أجل المعاش وأثر ذلك في الإحساس والعواطف.يقول:" حياة محفوفة بالشقاء والترحال والفراق ، تلهب إحساسهم وتذكى عواطفهم . ومن ثم كان لأهل الصعيد روح خاصة ذات عمق وجمال وفن أصيل[١].

ويركز علي السذاجة وقلة العقل وانعدام الفكر عند الصعايدة يقول:" ... فى بعض الأحيان يكون أسلوب العمد هو أصدق وسيلة للتعبير عن بعض جرائم الريف، وتكون سذاجة الكلام هي الإطار الوحيد الذي يتناسب وما لجرائم الفلاحين من صور بدائية... [٢]".

وعنده أن المدينة وبيئتها تزيد الذكاء وبمفهوم المخالفة فإن البيئة الريفية تنقص الذكاء في قصته(حياة لص) يتحدث عن بطلها حسنين إبراهيم الريفي الذي صار خفيرا في القاهرة :" وامتاز فوق ذلك بجرأته التي اكتسبها من قضاء لياليه منفردا وسط الحقول لحراستها . وحببه إلى رفقائه أنه ذو حديث حلو يدل على معلومات واسعة وذكاء طبيعي صقلته المدينة وأبرزته[٣]" وهنا نشير إلا انه ذكر ميزة للعيش في البيئة الصعيدية وهي أنها تكسب الجراءة وتهب الشجاعة لمن يعيش فيها فيصير جسورا صالحا في مهن تستلزم هذه الصفات .

وحقي في مجموعته يتهم الفلاح بالانتهازية واهتبال الفرص للكسب المادي دون النظر لأخلاقيات أو دين يقول: "... يعثر على

---

(١) دماء وطين :٦ .
(٢) دماء وطين : ٢٢ .
(٣) دماء وطين :١٣٩ .

نقود سيدعيها – فى أغلب الأمر كذبا – بعض أصحاب الخطابات . فالفلاح يعرف كيف ينتهز الفرصة.. [١]".

الازدراء بالصعايدة وعدم الاهتمام بهم لأنهم لا يساوون هذا الاهتمام ولا يفرقون في المعاملة بين من يقدرهم ومن لا يقدرهم علي لسان عباس يطل (البوسطجي) يقول:"... واتعودت أروح بالجلابية والجاكته للمكتب . ما ألبس البنطلون والياقة إلا لما يجى مفتش . ليه خوتة الدماغ واقلع وألبس فى البدلة وأنت وسط الناس دول!!" [٢].ويلاحظ قمة ازدرائه بقوله "وسط الناس دول!!".

ثم يتحدث عن عدم ألفة هؤلاء الناس للغريب وهذا يكمن في طباعهم السيئة ويضيف لهذا السوء سوء مناظرهم ونتن رائحتهم وهذه الصفات تؤهل للجريمة يقول:"... هذا البلد الكريه سلبه شبابه، يكاد يكون مقبرته، وهؤلاء الناس المنتنون المصفر والوجوه ، المرضى العيون، يضمرون له – لأنه غريب – ازورارا وانقباضا"[٣].

ويصر علي خبثهم بوصفه ذلك صراحة ..وشعور بطله بأنه أعلي منهم وأحسن تربية يقول:" .. كلهم يضحكون فى وجهه بخبث وتباله ، وهو يفضلهم بتربيته وعقليته . ففي العمل الذي سيقدم عليه خير انتقام منهم . سيطويهم جميعا علمه ، وتضمهم قبضة يده ، وسيقف أمامهم صامتا ولكنه يهزأ منهم فى قرارة نفسه ، وسيكون هو الفائز لا محالة ... [٤]".

---

(١) دماء وطين :٢٤ .
(٢) دماء وطين : ٣١ .
(٣) دماء وطين :٣٥.
(٤) دماء وطين :٣٥.

ويصر يحيي حقي علي أن يرفع عنهم كل فضل ويزيل كل حسن ويرفض نسبة أي مهارة لمن يعيش في هذه البيئة فتربية النحل إنما هي عن وراثة وليس لفهم وعلم ومهارة عن تلقين ملغي فيه العقل لا جد واجتهاد وهذا إمعانا في رفع أي فضل أو هبة مكتسبة عن من يعيش في هذه البيئة يقول وهو يتحدث عن تربية النحل في الصعيد :"... بيوت قبطية تربي النحل وراثة لا اختيارا ،عن تلقين لا عن سعي[١]".

ويؤكد علي الجهل المطبق في هذه البيئة حتى تصير البرنيطة بل والكتاب أعجوبة يقول:"... وعادت لكوم النحل معها حقيبة بها "برانيط وكتب " :أعجوبتان فى منازل الطين والقش[٢]".

ويصر علي جعل الصعايدة مريضي النفس، يتسمون بالتربص، والتصيد، والتجسس علي الناس، والتحسس لأخبارهم، يقول علي لسان بطلة قصته (البوسطجي):.." وهذا لأن مكتب البريد فى السوق أمامه دكاكين ، وأناس جالسون أقوياء العيون وهى تخشى أن يعرفها أحد ، فيتصل بعلم أبيها خبر ترددها على المكتب وينفضح سرها"[٣].

بل إنه يؤكد عن طريق إسقاط تاريخي أن هؤلاء القوم ورثوا الخنوع عن أجدادهم الذين كانوا يموتون في السخرة بالسوط فيدفنوا بدون مراعاة حرمة فيدفن أحدهم مكانه بمعوله ومقطفة فلا حرمة لهم أحياء ولا أموات يقول وهو يصف مرور بطل قصته (قصة في السجن) علي جسر الإبراهيمية:"... من لعليوى بمن يخبره أن ليس كل ارتفاع الجسر من التراب . ففي أحشائه أيضا هياكل كثيرة من

---

(١) دماء وطين :٤٧ .
(٢) دماء وطين :٥٤ .
(٣) دماء وطين :٥٦ .

عظام الفلاحين وقد يكون فيهم بعض أجداده – الذين فتحوا الترعة بطول أربع مدريات بمعاولهم البسيطة . وربما بأظفارهم أيضا !! وكان يموت الفلاح فيهال التراب عليه ، كما هو بمقطفه ومعوله ، وجلبابه الأزرق الوحيد. أكل الجسر أجسادهم ومحا لحومهم ، وما على جلودهم من أثر الكرابيج[١]".

ويصر علي تأكيد اتهام الفلاحين أهل الصعيد بالسذاجة وقلة العقل (العبط) علي لسان أبطاله الذين هم من الفلاحين يقول علي لسان بطل قصته (قصة في السجن) والذي كان يستغفله ويهزأ به سجين آخر:".. فسأله الشاب :- كان بقالك زمان ما شربتش شاى ؟" - "ما أنت عارف الفلاح عبيط ، ما يقولش فى عزومة لأ.. [٢]".

ولم تنج نساء الصعيد من بيئتهن عند يحيي حقي حتى اتسمن بالرعب وضيق الأفق والتفكير المحصور في الشهوة بمجرد انفراد الرجل بها يقول وهو يحلل نرجس والتي ليست من الصعيد وأنها ليس كنساء الصعيد اللائي:"... القروية الرعديدة التي لا تخلو مع رجل إلا وملأت رأسها فكرة واحدة :أنها عرضة لهجومه ، وأن انتصاره عليها لا يتوقف على إرادتها ، بل على الظروف . فلو كانت ملائمة له خيم عليها جو من التسليم والعجز ، وقد تناضل قليلا ولكنها تنتهي بالخضوع ، وأغلب الأمر أنها تنسى نفسها وتشترك فى النهاية فيما أكرهت عليه. فهي تعيش طول عمرها ونظرها لنفسها أنها مطفأ شهوة ، لا يربطها بالرجل إلا بقانون واحد : أن تحرك – من بعد – من شهوته دائما بحيث لا تخبو لها نار. لا تقدم ، ولكن إذا رغب، عليها أن تعطى[٣].

---

(١) دماء وطين :٨٣ .
(٢) دماء وطين :٨٤ .
(٣) دماء وطين :١١١ .

أولا: المصادر

١ – أعمال يحيي حقي ، الصادرة عن : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

٢ – دماء وطين مع ثلاث قصص أخري ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

٣ – رسائل يحيى حقي إلى ابنته: نهى حقي ،إبراهيم عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

٤ – فجر القصة المصرية ، يحيي حقي، كتاب الثقافة الجديدة (٢٨) الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٥ – كناسة الدكان: كتاب الهلال، يحيى حقي، دار الهلال – القاهرة.

٦ – كتب وشخصيات، يحيي حقي ، الطبعة الأولي سنه١٩٤٦.

٧ – وصية صاحب القنديل: صلاح معاطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة:١٤١٥ هـ =١٩٩٥م

ثانيا: المراجع

٨ – الأدب وفنونه دراسة ونقد ،عزالدين إسماعيل،الناشر: دار النشر المصرية (الأولي)١٩٥٥م.

٩ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب،ط.مكتبة النهضة المصرية(الرابعة).

١٠ – الأسلوب ، د. محمد كامل أحمد ، نشر: مكتبة القاهرة الحديث (الثانية) ١٩٦٧م.

١١ – إنّهم يقتلون البيئة ، الدكتور ممدوح حامد عطيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٩٧م.

١٢ – تطور فن القصة القصيرة فى مصر من سنة ١٩١٠ إلى ١٩٣٣، سيد حامد النساج، أصدرتها: وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية المتحدة (القاهرة) ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

١٣ – تحليل الشخصيات وفن التعامل معها ، عبد الكريم الصالح ، (١٤٢٧هـ).

١٤ – جهاد في الفن ، مصطفى عبد الله ،ط. المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة .

١٥ – الجامع الصحيح لمسلم: كتاب الذكر والدعاء، والتوبة

١٦ – ديوان الإمام علي رضي الله عنه ، ط. دار كرم بدمشق.

١٧ – زمن الرواية ، د جابر عصفور، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب مهرجان القراءة العامة للجميع ١٩٩٩م.

١٨ – الشخصية، عبدالله خمّار ، ط. دار الكتاب العربي بالجزائر، (الطبعة الأولى)١٩٩٩م .

١٩ – صحيح البخاري .

٢٠ – الطاقة الإنسانية: أحمد حسين ، ط. دار القلم ،القاهرة ١٩٦٣م.

٢١ – عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، للمؤلّف: جان ماري بليت (المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب بدولة الكويت).

٢٢ – فن القصص دراسات في القصة والمسرح ، محمود تيمور، ط.مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز والمطبعة النموذجية.

٢٣ – فنون الأدب ، تأليف هـ.ب.تشارلتن ، تعريب أ.د.زكي نجيب محمود ، تقديم د. إمام عبد الفتاح إمام،ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١م.

٢٤ – القصة القصيرة دراسة ومختارات ، د.الطاهر أحمد مكي ، ط. دار المعارف (الطبعة السادسة) ١٩٩٢م.

٢٥ – القصة القصيرة في مصر دراسة في تأصيل فن أدبي، شكري محمد عياد ، الناشر: أصدقاء الكتاب (الرابعة) ١٩٩٩م.

٢٦ – القوانين البيئيّة في مجلس التعاون الخليجي ، (١٩٩٨م).

٢٧ – كتابة القصة القصيرة ، تأليف: هالي بيرنت، ترجمة أحمد عمر شاهين ، كتاب الهلال ،ط.دار الهلال.

٢٨ – مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ج:٢.

ثالثا: دوريات :

٢٩ – جريدة : أخبار الأدب، في: ٢٠٠٥/٤/١٧م.

٣٠ – صحيفة: الشرق الأوسط، في: ٢٠٠٥/١/١٧م.

٣١ – الملحق الأدبي لجريدة المساء شهر شباط عام ١٩٦١م.

٣٢ – مجلة : مجلة العربي ،العدد:٥٥٤، ذو القعدة ١٤٢٥هـ، يناير ٢٠٠٥م.